رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2252) السنة التاسعة
الإثنين (19) ايلول 2011

4
جمال باشا السفاح في بغداد

الخدمات الصحية العامة في العراق 1869-1914

عندما أصبح حسين جميل مديرا للدعاية

مساجد الاعظمية

التنافس البريطاني الأمريكي في مجلس الإعمار في عراق الخمسينات

بشار فتحي العكيدي
باحث واكاديمي

بغداد في الخمسينيات

ان سياسة العراق كانت تهدف إلى استثمار عوائد النفط لتمويل المشاريع الكبرى في البلاد ، وحتى عام ١٩٥٠ لم تكن العوائد التي يتسلمها العراق من النفط كبيرة إلى درجة تكفي لتمويل تلك المشاريع ، لذلك أنشأت الحكومة مجلس الاعمار لكي يقوم بالاشراف على استغلال عوائد النفط في تنمية اقتصاديات البلد وتقدمها .

يعد تأسيس مجلس الاعمار نقطة تحول أساسية في حياة العراق العامة وبداية سياسة انشائية تستهدف النهوض بالعراق اجتماعياً واقتصادياً وعمرانياً وثقافيا . وحددت المسؤوليات المجلس بأن يبحث في إمكانيات العراق ويتحرى موارده الانتاجية وقدراته الطبيعية ، أما مالية المجلس فتتكون من ٧٠٪ من مجموع حصص الحكومة من واردات النفط المقبوضة من الشركات ذوات الامتيازات((.

أسس مجلس الاعمار في العام ١٩٥٠ وفقاً لقانون كان يتضمن بأن تحول إلى مجلس الاعمار كل إيرادات النفط –كما ذكرنا– وكان المجلس يتألف آنذاك من ثمانية أعضاء من بينهم رئيس الوزراء ووزير المالية وستة أعضاء من غير الموظفين الذين يتلقون المرتبات تعلن أسمائهم بإرادة ملكية ويمكثون في الوظيفة خمس سنوات . كما ضم المجلس في عضويته أديكتون ميلر (J. W. Edington Miller) عضوا ماليا وسكرتيراً عاما للجيش وهو بريطاني . ووزلي نلسن (Wezly Nilson) الخبير الأمريكي الشهير في شؤون الري وبناء السدود وخزن المياه .

قام المجلس في بداية أعماله بعقد اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية سميت بـ (معاهدة التطوير) في ٢٠ كانون الأول ١٩٥٠ ، حيث أن هذه المعاهدة تعد من المعاهدات المهمة في المجال الاقتصادي لأنها قامت بجلب خبراء أمريكان إلى العراق ، فقام هؤلاء بوضع خطط التي من شأنها نقل الاقتصاد العراقي إلى حالة أحسن مما هي عليه . وتم تعيين دونالد بينت آدمز (Donald Benneit Adam's) كمدير لهيئة تطوير العراق في ٦ شباط ١٩٥١ ، حيث تم تعيينه وفقاً لبعض الشروط ويعطى راتباً مقداره كمقدار بقية مدراء الهيئات من البريطانيين . كما أن عمل لجنة تطوير العراق يعتمد على ما يتوفر لها من إمكانيات مالية تستخدم في مشاريع تطوير العراق ، إلا أن هذه الأموال ومدى توفرها يرتبط بتطور الاقتصاد العراقي الذي شهد تحسناً ملحوظاً ، حيث أن هذا التحسن والتطور لفت انتباه العديد من الأجانب الذين عملوا في العراق .

ان مشكلة الخبراء كانت من المشكلات التي تواجه الحكومة العراقية ، حيث جذب المجلس الكثير من الأجانب إلى العراق ، فاستخدم المستشارين وعين الخبراء وسعى المتعهدون وممثلو الشركات الأجنبية لعرض خدماتهم على المجلس . إذ أن المشكلة كانت تكمن في المنافسة بين الخبراء البريطانيين والأمريكان المنتشرين في المجلس ، حيث كان الصراع يتمثل بصورة خفية في مظاهر شتى وبصفة خاصة في السكك الحديد وما يتخلل تلك المنافسة من ملابسات قد تؤدي إلى تضارب بين مصالح الشركات الأمريكية والبريطانية وتزاحم على المقاولات والتعهدات ، وقد تجر إلى تدخل السفارة البريطانية في إنهاء عقود بعض الخبراء والمستشارين .

وأوضح صورة على التنافس البريطاني الأمريكي في المجلس هو ما حصل عندما انتهى عقد الخبير الأمريكي وزلي نلسن ، فقد كان عقد الخبير الأمريكي ينتهي في عام ١٩٥٦ وكان هذا الخبير على درجة عالية من الكفاءة ، وكفاءته معترف بها في داخل القطر وخارجه وكان نوري السعيد من المعجبين به جداً ، إلا ان الذي حصل هو أن السفير البريطاني في بغداد قام بزيارة السفير الأمريكي ولدمار غلمن بسبب انتهاء عقد نلسن في ٢١ كانون الأول ١٩٥٥ ، وخلال الزيارة تبين للسفير الأمريكي ان السفير البريطاني لا يريد تجديد عقد نلسن في المجلس ، حيث رأى السفير البريطاني إبدال نلسن بخبير آخر يجعل عمل المجلس أكثر انسجاماً ، إذ اتضح ان العضو البريطاني في المجلس كان قد قابل السفير البريطاني وأخبره أن العلاقة بينه وبين نلسن متوترة ويجب إبداله ، إلا أن السفير الأمريكي أخبر السفير البريطاني أن مسألة إلغاء عقد الخبير الأمريكي هي قضية تخص الحكومة العراقية وليس لأي شخص حق التدخل فيها .

اتضح فيما بعد ان رغبة العضو البريطاني في إزاحة نلسن موجهة بالأساس ضد الحكومة والشركات الأمريكية التي أخذت تتدفق إلى العراق لغرض المساهمة في المشاريع التي أوجدها مجلس الاعمار ، حيث أن العضو البريطاني كان لا يرغب في تجديد عقد إحدى الشركات الأمريكية الموجودة في العراق والتي تعمل ضمن مشاريع مجلس الاعمار ، إذ أن وجود نلسن يمنح تحقيق رغباته والتجأ إلى السفير البريطاني لغرض انهاء عقد نلسن، وبالفعل تم انهاء عقد نلسن بسبب الضغوط البريطانية على الحكومة العراقية مما أثار ضجة كبيرة على الحكومة،إذ أن رؤساء الوزارات السابقة جاءوا محتجين على إلغاء عقد نلسن قائلين أن العراق لا يزال بحاجة إلى خدماته ، واحتجوا أيضا على تدخل البريطانيين في شؤون العراق الداخلية. لقد كانت مسألة الخبير الأمريكي نلسن إحدى المسائل التي دار الخلاف عليها بين الطرفين البريطاني والأمريكي والتي من خلالها تبين مدى استياء الخبراء البريطانيين من وجود الخبراء الأمريكيين بينهم ووجود الشركات الأمريكية التي تعمل في العراق ، حيث كان البريطانيون يريدون أن يبقوا هم أصحاب الكلمة الأولى والأخيرة في العراق بغض النظر عن متطلبات العراق واحتياجاته ورغبته في التعامل مع الدول الأخرى .

في محاولة للتخلص من النفوذ البريطاني وسيطرته على مجلس الاعمار سعى العراق لإقامة علاقات جيدة مع الولايات المتحدة ، إذ تم في آب ١٩٥٢ عقد اتفاقية ثنائية بين العراق وأمريكا نصت على استخدام خبراء أمريكان للعمل في العراق في مجال التنمية الاقتصادية وللمساهمة في المشاريع التي يخطط لها مجلس الاعمار .

وضمن نفس السياق وقع الطرفان في ١٥ آذار ١٩٥٤ اتفاقية اقتصادية نصت على اعفاء الواردات والصادرات الأمريكية من والى العراق من الرسوم الكمركية وخصوصا المواد التي تستعمل للأغراض الشخصية ، حيث أن إعفاء هذه السلع من الرسوم سوف يعجل من عملية الاستيراد والتصدير ، كما نصت الاتفاقية على أن الحكومة العراقية ستقوم وبكل وسعها بالعمل جاهدةً على توفير العملة العراقية إلى الحكومة الأمريكية لاستخدامها في تغطية النفقات الإدارية والعمليات التي تحملتها في العراق لغرض تنفيذ بنود هذه الاتفاقية ، كما اتفق الطرفان على سرية العمليات التي تجري بينهما والحفاظ على الأمن الداخلي لهذه المعاهدة ، وقد اعتبرت الاتفاقية نافذة المفعول من تاريخ توقيعها حتى يتم التوقيع على اتفاقية أخرى بديلة عنها .

ان هذه الاتفاقيات المعقودة بين كل من العراق والولايات المتحدة كانت تمثل الجسر الذي يربط العراق بأمريكا والذي من خلاله سوف يتوافد إلى العراق الصناع والتجار الأمريكيون الذين كانوا يطمحون في أن تصل استثماراتهم إلى العراق خصوصاً بعد أن تلقوا الدعم الكبير من حكومتهم ، حيث اهتم بعض الممولين الأمريكيين بامكانية انتاج الورق في العراق وأنفقوا الكثير من الأموال على التحاليل التي أجروها في الولايات المتحدة لمعرفة مدى صلاحية القصب الذي ينمو في العراق في منطقة الأهوار لصنع الورق .

وفي الوقت الذي نشاهد فيه تطور في العلاقات العراقية–الأمريكية من الناحية الاقتصادية لم تكن بريطانيا غافلة عن هذا التطور الذي كانت تدرك أنه موجه بالأساس ضدها، لذلك عملت بدورها على زيادة النشاط التجاري في العراق في محاولة منها لعدم رمي العراق بثقله الاقتصادي إلى الولايات المتحدة ، حيث استقدمت مديرية البلديات العامة وضمن خطة مجلس الاعمار وبتوجيه من العضو البريطاني في المجلس مهندسين بريطانيين في هذا المجال ، حيث وصل أول مهندس بريطاني إلى العراق في تشرين الأول ١٩٥٤ وأسمه بيل وهو مهندس مدني ذو خبرة واسعة ولسنوات عديدة في بريطانيا لمساعدة الحكومة العراقية في إنشاء مشاريع الماء والكهرباء الجديدة وفي مختلف أنحاء العراق ، أما المهندس الآخر فانه وصل إلى العراق في فترة لاحقة للمساهمة في وضع التصاميم للمشاريع المقترحة في نفس المجال .

وبالاهتمام نفسه وعلى غرار تقوية موقع بريطانيا الاقتصادي في العراق قررت بريطانيا القيام بعمل معرض تجاري لها في بغداد في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٥٤ ، حيث يمثل هذا المعرض أكبر واجهة تجارية لعرض الصناعة البريطانية ، إذ يؤكد المعرض على مدى قوة العلاقات العراقية–البريطانية (من وجهة نظر بريطانيا) ومدى الثقة الكبيرة التي توليها بريطانيا للعراق من الناحية الاقتصادية .

منذ عام ١٩٥٣ أصبح التنافس البريطاني–الأمريكي في العراق تنافساً جليا وواضحا لبسط النفوذ على العراق والفوز بمشاريع التنموية الجديدة لمجلس الاعمار ، حيث أن السفارة البريطانية لم تخف مشاعر القلق من السياسة الأمريكية في العراق خصوصاً وأن بعض المسؤولين في العراق أخذوا يوضحون رغبتهم في الحصول على المساعدات الأمريكية الاقتصادية . ومما زاد في هذه المخاوف فشل بريطانيا في إقناع العرب بالمشاركة معها والغرب في تأسيس منظمة إقليمية للدفاع عن (الشرق الأوسط) ، حيث دفع هذا فشل الولايات المتحدة الأمريكية متمثلة بوزير خارجيتها جون فوستر دالاس بأن يطرح مشروعه المعروف بحلف دول الجوار الشمالي والذي أسس عليه فيما بعد حلف بغداد عام ١٩٥٥ ، حيث راقبت السفارة البريطانية بحذر واسع هذه الزيارة بوصفها دليلاً على رغبة أمريكا بتعزيز نفوذها في منطقة (الشرق الأوسط) . ومما زاد مخاوف بريطانيا مجيء فاضل الجمالي إلى رئاسة الوزراء في ١٧ أيلول ١٩٥٣ والذي اشتهر بموالاته للأمريكيين ، حيث أن حكومة الجمالي هي التي مهدت الطريق أمام تقدم ونمو النفوذ الأمريكي في العراق ، إذ طالب الجمالي ومن خلال مذكرات بعثها إلى الخارجية الأمريكية الحكومة الأمريكية بتطوير علاقاتها مع العراق على نحو سريع في المجال الاقتصادي منطلقاً من إيمانه بوجود قوى تتمثل في بريطانيا تعارض وبسخط كبير إعطاء الولايات المتحدة دوراً مهماً في العراق . إذ أن تعزيز مركز الولايات المتحدة في المنطقة والعراق بالتحديد دفعها إلى المنافسة مع بريطانيا والقيام بهدم النفوذ البريطاني فيه والحلول محلها في الميادين التجارية والاقتصادية . انقسمت الفئة الحاكمة في العراق على نفسها ، حيث ظهر فريقان سياسيان في العراق، الفريق الأول مثله الوصي عبد الآله الذي وجد في الولايات المتحدة الأمريكية الوسيلة للحفاظ على موقعه ووجوده ، والفريق الثاني الذي مثله نوري السعيد واستمراره في موالاة بريطانيا، حيث كان الوصي يرى أن بريطانيا قد انتهى دورها في البلاد العربية بعد أن قضى عليها اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر وان انسحاب لمجلس الاعمار ، حيث أن السفارة البريطانية لم تخف مشاعر القلق من سياسة الأمريكية في العراق خصوصاً وأن بعض المسؤولين في العراق أخذوا يوضحون رغبتهم في الحصول على المساعدات الأمريكية الاقتصادية . ومما زاد في هذه المخاوف فشل بريطانيا في إقناع العرب بالمشاركة معها والغرب في تأسيس منظمة إقليمية للدفاع عن (الشرق الأوسط) ، حيث دفع هذا فشل الولايات المتحدة الأمريكية متمثلة بوزير خارجيتها جون فوستر دالاس بأن يطرح مشروعه المعروف بحلف دول الجوار الشمالي والذي أسس عليه فيما بعد حلف بغداد عام ١٩٥٥ ، حيث راقبت السفارة البريطانية بحذر واسع هذه الزيارة بوصفها دليلاً على رغبة أمريكا بتعزيز نفوذها في منطقة (الشرق الأوسط) . ومما زاد مخاوف بريطانيا مجيء فاضل الجمالي إلى رئاسة الوزراء في ١٧ أيلول ١٩٥٣ والذي اشتهر بموالاته للأمريكيين ، حيث أن حكومة الجمالي هي التي مهدت الطريق أمام تقدم ونمو النفوذ الأمريكي في العراق ، إذ طالب الجمالي ومن خلال مذكرات بعثها إلى الخارجية الأمريكية الحكومة الأمريكية بتطوير علاقاتها مع العراق على نحو سريع في المجال الاقتصادي منطلقاً من إيمانه بوجود قوى تتمثل في بريطانيا تعارض وبسخط كبير إعطاء الولايات المتحدة دوراً مهماً في العراق . إذ أن تعزيز مركز الولايات المتحدة في المنطقة والعراق بالتحديد دفعها إلى المنافسة مع بريطانيا والقيام بهدم النفوذ البريطاني فيه والحلول محلها في الميادين التجارية والاقتصادية . انقسمت الفئة الحاكمة في العراق على نفسها ، حيث ظهر فريقان سياسيان في العراق، الفريق الأول مثله الوصي عبد الآله الذي وجد في الولايات المتحدة الأمريكية الوسيلة للحفاظ على موقعه ووجوده ، والفريق الثاني الذي مثله نوري السعيد واستمراره في موالاة بريطانيا، حيث كان الوصي يرى أن بريطانيا قد انتهى دورها في البلاد العربية بعد أن قضى عليها اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر وان انسحاب لمجلس الاعمار ، حيث أن السفارة البريطانية لم تخف مشاعر القلق من السياسة الأمريكية في العراق خصوصاً وأن بعض المسؤولين في العراق أخذوا

أوضح صورة على التنافس البريطاني الأمريكي في المجلس هو ما حصل عندما انتهى عقد الخبير الأمريكي وزلي نلسن ، فقد كان عقد الخبير الأمريكي ينتهي في عام 1956 وكان هذا الخبير على درجة عالية من الكفاءة ، وكفاءته معترف بها في داخل القطر وخارجه وكان نوري السعيد من المعجبين به جداً ، إلا ان الذي حصل هو أن السفير البريطاني في بغداد قام بزيارة السفير الأمريكي ولدمار غلمن بسبب انتهاء عقد نلسن في 21 كانون الأول 1955

جنود بريطانيون يشاركون في الاعمار

كان يحفز عبد الإله إلى التقرب إلى الأمريكيين .

لقد أنشأ مجلس الاعمار مشاريع كبيرة في البلاد ، حيث تم في ١ نيسان ١٩٥٦ تدشين سد سامراء والذي يسيطر على مياه فيضان دجلة ويوجهها إلى الثرثار والذي يأتي بفوائد ضخمة للشعب العراقي ، حيث كان ذلك الحدث مناسبة سعيدة للجالية الأمريكية في العراق ، إذ تولت بعثة العمليات الأمريكية في العراق –وهي وكالة تامة بموجب اتفاقية التعاون الفني مع العراق– نشر دعاية واسعة كانت الحكومة بأمس الحاجة إليها عن منجزات وزارة الاعمار، حيث أصدرت بعثة العمليات الأمريكية بطلب من ضياء جعفر (وزير الاعمار) وبموافقة نوري السعيد نشرة مصورة تصف بها المشاريع المقرر افتتاحها خلال اسبوع الاعمار ، كما نشرت صوراً فوتوغرافية للاحتفاليات التي جرت لتوزع في أنحاء البلاد وأخرجت فلما ملونا عن حوادث الأسبوع .

ولما جاء اسبوع الاعمار لعام ١٩٥٧ اصبح المنهاج أكثر تنوعاً وبدا من المناسب أن تقدم واشنطن للعراق هدية كانت تفكر بها منذ زمن ، حيث أهدت الحكومة الأمريكية في ٢٤ آذار ١٩٥٧ للحكومة العراقية مختبراً للطاقة الذرية كتذكار لاهتمام الحكومة الأمريكية في استخدام الطاقة الذرية للغايات السلمية ، فتم افتتاح المختبر وقطع رئيس الوزراء نوري السعيد (١٧ كانون الأول ١٩٥٥–٨ حزيران ١٩٥٧) الشريط وأعلن أن المختبر جاهز للاستعمال بإدارة عالم عراقي متميز هو الدكتور محمد حسين ال كاشف الغطاء الذي كان قد حصل على منحة من مؤسسة فولبرايت الأمريكية للدراسة في مختبر أرلون الوطني للجنة الطاقة الذرية الأمريكية في لامون بولاية أيلينوي .

لقد كان عدد الخبراء الأمريكيين العاملين في العراق وبالتحديد في مجلس الاعمار قرابة ١٠٠ فني أمريكي يساعدون في تحسين أحوال البلاد من بينهم مهندسون واختصاصيون في الصحة العامة والإدارة العامة وزراعيين ، كما أن نوري السعيد كان معجباً بالخبراء المتخصصين في إنشاء السدود والسيطرة على الفيضانات وتحسين الري وإنشاء الطرق العامة .

لقد كان مجلس الاعمار صورة من صور التنافس البريطاني–الأمريكي في العراق وقد تمثل هذا التنافس بصورة كبيرة بين الخبراء والمستشارين البريطانيين والأمريكيين المنتشرين في المجلس ، حيث أن هؤلاء كانوا يمثلون سياسة حكوماتهم والتي كانت في باطنها تعبر عن حقد وكراهية للجانب الآخر ، على الرغم من أنهم في الظاهر يتعاملون بصور ايجابية إلا أنه لا يهمهم سوى مصلحته وتحقيق أهدافهم وغاياتهم التي لا تنتهي .

بغض النظر عن الصراع البريطاني–الأمريكي فان أمريكا أصبحت تشعر في هذه الفترة بقوة مركزها في العراق وأهمية تطوير علاقاتها الودية معهم من أجل تركيز مصالحها الاقتصادية وخاصة بعد أن أدركت أن مركز بريطانيا بدأ يضعف في العراق ، حيث أكد السفير الأمريكي غلمن على ضرورة اهتمام الولايات المتحدة بالعراق ودعا حكومته إلى ترك سياسة العزلة والتوجه نحو العراق ، حيث أن النشاط الاقتصادي الأمريكي في مجال الاستثمار في العراق أصبح قوياً ، ففي بداية عام ١٩٥٧ أصبحت مساهمة رأس المال الأمريكي في العراق تزيد على ٦٠ مليون دولار منها ٤٨ مليون دولار استثمر في العمليات النفطية والباقي استثمر في معامل وتجهيزات يملكها بعض المقاولين في العراق .

ان المساعدات الأمريكية خارج نطاق اتفاق النقطة الرابعة تمثل في قيام شركات أمريكية بعمليات المسح والكشوفات اللازمة لإنشاء طرق برية بين العراق وتركيا عام ١٩٥٧ وامكانية قيام الولايات المتحدة بمساعدة العراق لتحسين وسائل الاتصال البري وطرق المواصلات والسكك الحديد ، كما اتفق العراق مع الولايات المتحدة على اجراء المسوحات والكشوفات اللازمة لتأسيس شبكة مواصلات تربط العراق سلكياً بكل من تركيا وإيران وباكستان .

مشاريع الاعمار في الخمسينيات

جمال باشا السفاح في بغداد

جمال باشا

ناظم باشا

بثينة الجنابي
باحثة واكاديمية

أصدر الباب العالي في السابع عشر من آذار عام ١٩١١ أمراً بعزل الوالي ناظم باشا عن ولاية بغداد، فغادرها صباح العشرين من آذار على ظهر باخرة من بواخر لنج متوجهاً إلى البصرة ثم توجه من هناك إلى استانبول، وظل يوسف أغا باشا واليا على بغداد بالوكالة زهاء خمسة أشهر، حتى وصل إليها الوالي الجديد جمال بك، في السادس والعشرين من آب واستقبله (كسائر الولاة) في الفلوجة معاون الوالي لطفي بك والفريق يوسف أغا باشا وكيل الوالي ووكيل مفتش الفيلق الأول وقائد الفيلق الثالث عشر، والأمراء الأشراف وأطلقت له إحدى وعشرون إطلاقة مدفع كالمعتاد.

تولى جمال بك مهام ولاية بغداد وهو في العقد الرابع من عمره، وأقيمت له حفلة فخمة، افتتحت بقراءة الفرمان السلطاني وختمت بخطبة الوالي الجديد التي كان مطلعها:

"أيها الوطنيون المحترمون!

لقد تلي عليكم الآن بكمال التعظيم التوقيع السلطاني لتوديع زمام إدارة أمور ولاية بغداد لعهدة العاجز، فها أنا أفتح أعمالي باسمه تعالى ملتجأ بالعناية الصمدانية، ومتوكلاً بروحانية الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) فأقول: أرى نفسي مضطرة أن تذكر لكم ما أحسه قلبي، وأوضح ما حواه صدري عند لقائي أبناء وطني العراقيين، وهو أول لقاء يباهى به في هذا اليوم."

أما ما يخص فحوى الخطبة التي وجهها جمال بك فقد ذكر فيها:

"هذا وإني أمين من جميع الوطنيين من أن يعضدوني، ويؤازروني في إخراج هذه الوظيفة المهمة التي أودعنيها حضرة الخليفة الأعظم من القوة إلى الفعل لأن قوة الحكومة المشروطة ومدار إسنادها هو المجموع المتشكل من الأفراد، ومن أجل ذلك كانت الحكومة والملة شيئاً واحداً، متحد الوجود..."

ولم يميز جمال بك بين طبقات المجتمع في ولاية بغداد فذكر:

"... فالهيئة العثمانية المتركبة من أفراد الملة لا يفرق بين فقيرهم وغنيهم ولا تفاوت بين كبيرهم وصغيرهم في نظر الحكومة والقانون، إذ كلهم متساوون، ويحافظ على حقوق كل منهم، أما مأمور الحكومة فقد تعينوا لتأمين المناسبات الدائمة الحسنة بين الأفراد..."

وقد رحب أهالي بغداد بقدوم الوالي الجديد جمال بك ومنهم الشاعر الشعبي الشيخ علي البغدادي المعمار إذ قال:

مذ حلّ بغداد (جمال) العلى
بطلعة تخجل بدر التمام
قد قرّ فيه طرفها بعدما
قد كاد مما نابها لا ينام

وبعد مضي أربعة عشر يوماً من وصوله إلى بغداد، أصدر بياناً إلى العشائر، حذرهم فيه من العودة إلى الغزو، وذكرهم بأنهم مسلمون موحدون، وطلب منهم الرجوع إلى باب الحكومة لحل المنازعات بينهم، ثم هددهم بالعقاب الشديد إذا لم يرتدعوا، ولم تعترف العشائر بما جاء به جمال بك فعادوا إلى التنازع والقتال فيما بينهم، وكانت أولى العشائر التي فعلت ذلك هي عشائر الشامية وأبو صخير، مما أدى إلى الفوضى في المنطقة، فوقعت من جراء ذلك معارك عنيفة أبدى فيها مزهر الفرعون من آل فتلة قسوة وهاجم أعدائه من عشيرة الغزالات، وحاصر قرية اللهيبيات القريبة من الحيرة، وأحرق دورها ونهب أموالها، ثم هاجم الحيرة نفسها فأحرقها ونهبها.

ولأجل ذلك أرسل جمال بك قوة عسكرية بقيادة سليمان عسكري بك، للتحقق من هذه الحوادث، فقام سليمان عسكري بك بحرب عشائر الغزالات وآل إبراهيم والفتلة والشبل ووجه ضربات شديدة لها، ثم ألقى القبض على رؤسائها فزجهم في السجن، كان منهم مزهر الفرعون وأخوه مبدر وعبد الكاظم الحاج عسكر وأخوه عبد الواحد، ولكنه لم يستطع أن يلقي القبض على المسؤول عن النزاع (عليوي الرخيص)، فاستحوذ على جميع مواشيه وأثاثه وأغنام عشيرته، وأعطى أراضيه وأراضي عشيرته إلى (حسن الفرهود) رئيس بني زريج، ومن ثم فرض الضرائب على جميع القبائل المتناحرة بالقوة)).

وقد واجه أحد كتاب جريدة الزهور، الوالي جمال بك، فسأله عن حملة سليمان عسكري بك، فقال الوالي:

"لما هبطت الولاية رأيتها والفوضى قد عمت فيها، لاختلال النظام والراحة في جميع أنحائها، وفي اليوم الثاني من وصولي إلى هنا ورد إليّ نبأ برقي من متصرف الديوانية ينبأ عن تحفز عشيرتي والشبل والغزالات لجمع الجموع وإعداد القوة للهجوم على صاحبها، وللحال سيرت إلى محل النضال طابوراً من الجند البغالة وطابورين من المشاة وفرقة بلوكا من المدفعيين أصحاب المدافع الرشاشة، وثلة من مدفعية الصحراء لمنع نهوض المعتدين وحقن دماء العثمانيين، وإظهار سطوة الحكومة، وتأديب المخالفين..."

ومن الواضح أن مثل هذه القوة كانت استعراضاً عسكرياً مقصوداً لتخويف العشائر.

ب- الجولات التفتيشية لجمال بك.

وبعد القضاء على النزاع قرر جمال بك زيارة الفرات الأوسط في جولة تفتيشية، مع حاشيته ممتطين الخيول، وقد لبس جمال بك الزي العربي المتمثل بالعباءة والعقال، فذهب إلى المسيب والهندية، وبعد أن فتش سدة الهندية التي كان العمل يجري فيها توجه إلى الحلة وعند اقترابه منها لم يجد في استقباله سوى أربعة أشخاص فقط، هم:

المفتي إسماعيل أفندي الواعظ، والحاكم صالح أفندي الباججي، ومأمور الأملاك المدورة محمود أفندي الشيخ علي، والقومسير محمود أفندي، فاشتد غضب الوالي جمال بك لعدم حضور القائمقام والأهالي لاستقباله، ولما دخل إلى البلدة، جاء شوكت بك، وكان القائمقام بالوكالة وأخذ يعتذر ويتضرع قائلاً:

(أيها الباشا من الصغير الخطأ ومن الكبير العفو، عبدكم أخطأ وهو مغرور بعطف ولطف دولتكم.

ولكن الوالي جمال بك لم يقبل اعتذاره بل ظل غاضباً لا يتكلم ولم يلتفت إليه ولم يجبه، ثم جلس ولم يشرب القهوة والمشروب الذي قدم له، ولم يدخن، ثم نادى على الظاهي وأمره أن يعد له الغذاء في الجربوعية التي تبعد عن الحلة مسافة خمسة فراسخ، ثم ذهب إلى دائرة التلغراف فأبرق إلى قائمقام خانقين الحاج نامق أفندي، يأمره بالحضور حالاً إلى الحلة ليتسلم منصب القائمقامية بدلاً من شوكت بك، على أن يصلها خلال يومين، وكانت تلك ليرة عثمانية لتوسيع جدول الرشادية وحفره، والرشادية هي ناحية كان يقال لها الشوفة والمليحة، والرشادي هو نهير أنشأ بسبب انقطاع نهر الفرات عن الديوانية، وأجري فيه الماء من هور ابن نجم لأجل الشرب إلى قصبة الديوانية، ومن هذه الواسطة استفادت العشائر من الزرع على جانبيه.

غادر جمال بك الديوانية متوجهاً إلى الشامية فأبو صخير ثم كربلاء، ثم عاد إلى الحلة، فجمع الحاج نامق القائمقام الجديد فيها، جميع عشائر الحلة وأهلها الذين خرجوا بأسلحتهم لاستقباله وكان الموكب مهيباً. ثم زار آثار بابل، وزار المدارس، وأعان بعض الطلاب بالكتب والألبسة وفتش جدول الرشادية القريب من الديوانية، ثم عاد إلى بغداد وكان محل إقامته فيها، في قصر عبد القادر الخضيري الكائن على دجلة قرب الدبخانة.

وقد أمر جمال بك بتخصيص ألف

جمال باشا في تركيا

بعد القضاء على النزاع قرر جمال بك زيارة الفرات الأوسط في جولة تفتيشية، مع حاشيته ممتطين الخيول، وقد لبس جمال بك الزي العربي المتمثل بالعباءة والعقال، فذهب إلى المسيب والهندية، وبعد أن فتش سدة الهندية التي كان العمل يجري فيها توجه إلى الحلة وعند اقترابه منها لم يجد في استقباله سوى أربعة أشخاص فقط، هم: المفتي إسماعيل أفندي الواعظ، والحاكم صالح أفندي الباججي

جمال السفاح مع بعض القادة الاتراك

وزارة المدفعي تعتقل الشيخ عبد الواحد الحاج سكر

كانت الازمة التي مر بها العراق في شهر مايس ١٩٤١ قد بررت بعد ان اعيد الوضع مرة اخرى قيام حكومات اتسمت بالشدة والصرامة كانت الوزارة التي الفها (جميل المدفعي) من الوزارات التي تضم الساسة المجربين ولكن من دون ادخال دم جديد فيها (فنوري السعيد) غادر العراق الى القاهرة في منصب مفوض للعراق هناك لهذا اعطي منصب وزير الخارجية الى (علي جودت الايوبي) ووزارة الداخلية الى (مصطفى العمري) ووزارة الاشغال الى (جلال بابان) ووزارة المالية ومعها العدل بصفة مؤقتة الى الدكتور (ابراهيم كمال) ذلك الرجل الذي كان الكثيرون يرون فيه رئيسا للوزراء المقبل واعطيت وزارة الاقتصاد الى (نصرت الفارسي) في حين تولى (محمد رضا الشبيبي) وزارة التربية (وجعفر حمندي) للشؤون الاجتماعية.

قابلت هذه الوزارة بصفة ودية المقترحات التي تقدمت بها بريطانيا بشأن اقامة القوات البريطانية في النقاط الستراتيجية وفرض الرقابة المشتركة على الميناء فضلا عن الرقابة التي تطلبتها ظروف الحرب ثم اغلاق المفوضية الايطالية في بغداد وابعاد المدرسين المحرضين من السوريين والفلسطينيين المقيمين في العراق في ظل هذا الوضع كانت العشائر هادئة ولم يكن الاكراد نشطين في تلك المدة لكن وزارة (المدفعي) اخفقت في اعداد سياسة ثابتة حيث بدأت ببعض الاعتقالات القليلة ضمت (عبد الواحد الحاج شكر) واخرين معه من شيوخ عشائر الفرات العنيدين وعلى اثر هذه الاعتقالات قدم ابراهيم كمال وزير العدل استقالته من منصبه في منتصف شهر ايلول وكأنها سوف تعقبها وزارة يؤلفها هذا الرجل القدير لكن لايملك الدعم الكافي لذلك فضل عبد الاله ان يطلب من نوري السعيد العودة الى بغداد وذلك لان قابلياته هي التي كانت تتطلبها الظروف القائمة انذاك استقال (جميل المدفعي) في ٧/ت١/ وبعد يومين من ذلك اعلنت ارادة ملكية بان نوري السعيد قد الف وزارته السادسة جاء نوري بـ (صالح جبر) ذلك الرجل المؤهل لوزارة الداخلية (وعلي ممتاز) لوزارة المالية (وصادق البصام) للعدل (وتحسين علي) للتربية (ومحمد امين زكي) للمواصلات و(السيد عبد المهدي) للاقتصاد (وجمال بابان) للشؤون الاجتماعية وكان العبء الرئيس للادارة يقع على (صالح جبر وعلي ممتاز) وحدثت تغيرات في الوزارة خلال شهر شباط سنة ١٩٤٢ عندما تولى الدكتور (عبد الله الدملوجي) وزارة الخارجية لمدة اربعة اشهر فقط وحل (داود الحيدري) محل (صادق البصام) وظل (نوري السعيد) محتفظا بوزارة الدفاع وراح يضغط على السفير البريطاني في تحقيق رغبته وهي ان يلعب الجيش دورا محددا في هزيمة هتلر لارسال لواءين الى ميادين القتال في شمال افريقيا لم يتم قبول هذا الطلب من لدن الانكليز غير ان الوزارة ما لبثت ان استقالت في اليوم الثامن من شهر ت١/ ١٩٤٢ بعد ان امتد عمرها سنة كاملة لتعقبها وزارة اخرى الفها (نوري السعيد) نفسه لم يطل عمرها اكثر من سبعة أشهر وفي هذه الوزارة احتفظ (صالح جبر) بوزارة المالية اعفيت تاليف هذه الوزارة زيارة قام بها الامير عبد الاله الى مصر حيث استقبل استقبالا ملكيا من لدن الملك فاروق ومن ثم سافر الى الميدان العسكري في العلمين لتفتيشه.

المستشفى الجمهوري في بغداد

الخدمات الصحية العامة في العراق 1869-1914

القسم الاول

للدكتورة لمى عبد العزيز
باحثة واكاديمية

يعود الفضل إلى والي الموصل محمد اينجة بيرقدار (١٨٣٥-١٨٤٣م) في انشاء اول مستشفى رسمي في العراق وهو مستشفى "القشلة العسكرية" ، حيث كان الغرض الرئيسي من إنشائه تأمين الخدمة الصحية للفرقة (١٢) من الجيش العثماني الموجودة في الموصل ، وكان يدير المستشفى المذكور سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م عدد من اطباء الالوية وهم المقدم ديمتراكي ، والرائد عيسى والجراح اسماعيل افندي ، يساعدهم إثنان من الصيادلة ، ثم انضم للعمل معهم كل من الاطباء البنباش (المقدم) حسن بدري ومحمد أمين وبسبب ظروف الحرب العالمية الاولى والحاجة الماسة إلى مثل هذه الخدمات ، فقد ازدادت أهمية هذا المستشفى اباان تلك المرحلة.

اما اول مستشفى عام في العراق فقد أنشاءه في بغداد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢م) الذي ادرك منذ الوهلة الاولى يتدهور الاوضاع الصحية ، فاحدث نقلة نوعية في الميدان الطبي حيث بدأت الحملة الاولى ضد التخلف والشعوذة والامراض المنتشرة بين الجميع آنذاك . ولما كانت خزينة الولاية لا تكفي لبناء المشروع المذكور ناشد مدحت باشا الاهالي بالتبرع لبناء المستشفى فانهالت عليه تبرعات الاغنياء والوجهاء... عند ذلك تم تشييد هذا المستشفى الذي جرى افتتاحه سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م وسمي بـ "مستشفى الغرباء" .

إحتوى هذا المستشفى على ٥٠ سريراً ، وضم عدداً من الاقسام منها قسم الامراض الباطنية وقسم الجراحة ، وقسم الامراض الزهرية ، فضلا عن جناح خاص للمساجين والمعتوهين والعواهر . فيما الحقت بالمستشفى شعبة بسيطة للاسعاف وكان العلاج في المستشفى مجانا . اما ادارة المستشفى فقد اسندت إلى دائرة البلدية الاولى . ويبدو ان هذا المستشفى لم يلق اقبالا عند افتتاحه بسبب تفضيل الناس لاساليب العلاج التقليدية القديمة . كما تم تخصيص هذا المستشفى للغرباء لذلك كان معظم المتجئين اليه من الفقراء والمتسولين، إذ وجد بعضهم فيه المكان المناسب ليقضوا فيه بقية حياتهم .

واجهت المستشفى منذ بداية تأسيسها وحتى نهاية العهد العثماني ، صعوبات عديدة لعل في مقدمتها إفتقارها إلى الموارد الكافية لتأمين استمرارية عملها ، وأمام هذه المشكلة لجأت ادارة المستشفى إلى مناشدة الاهالي لبذل المساعدات المادية .

اما المشكلة الثانية التي واجهت عمل المستشفى فكانت الافتقار إلى الملاكات الطبية والادارية الكفوءة ، التي كانت احد اسباب اغلاق المستشفى لاكثر من مرة . حتى قيام والي بغداد قدري باشا ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م ، باعادة ترميم المستشفى وتأمين لوازمه من الادوية والمعدات الطبية ، الا ان الاهتمام لم يستمر طويلا ، إذ سرعان ما تعرض للاهمال ، لاسيما بعد نقل الوالي قدري باشا ، ثم انتهى امر المستشفى نهائيا سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩١م ، عندما نقلت محتوياته إلى المستشفى الذي انشأه نامق باشا –الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا– في حين تم نقل عائدية بناية المستشفى إلى دائرة المعارف حيث اصبحت بناية للمدرسة الاعدادية الملكية .

يعود الفضل إلى نامق باشا الصغير (١٨٩٩-١٩٠٢م) في انشاء ثاني مستشفى في بغداد في جانب الرصافة . حيث جرى افتتاحه في ١٥ ذي الحجة ١٣١٨هـ/ ٥ نيسان ١٩٠١م واشتمل على عدة اقسام (باطنية ، جراحية ، عيون ، نسائية) ، وردهات خاصة للعمليات ، وقسم خاص للمجانين فضلاً عن صيدلية ملحقة به ومسجد ومطبخ وحديقة .

لقي المستشفى المذكور اهتماماً كبيراً من الوالي نامق باشا الذي كان يطمح إلى جعله افضل من غيره ، لذا جلب له الادوية والمطهرات والآلات الجراحية من اوربا . اما عن الهيئة الادارية للمستشفى فتألفت من مدير ووكيله وعاملين أخرين لمختلف الشؤون الادارية فضلاً عن مجموعة من الاطباء لمختلف الاختصاصات الموجودة في المستشفى امثال الدكتور نظام الدين للامراض الباطنية ، والجراح ذهني بك للامراض الجلدية ، والطبيب العيون سامي سليمان . وبغية ديمومة العمل في هذا المستشفى ، تم تشكيل لجنة مركزية اوكل اليها مهمة الاشراف على ادارة المستشفى ، ضمت في عضويتها طبيب دائرة البلدية الاولى ، ومعاون والي البصرة ، وعدد اخر من الاعضاء .

اما عن نفقات المستشفى فكانت ثلثاها تدفع من واردات البلدية ، اما الثلث الاخر فيجري استيفاؤه من الدائرة السنية وتحديدا من واردات التزام جسر الخر ، وكانت الاصول المتبعة في ادخال المرضى إلى هذه المستشفى ان يحصل المريض على شهادة من البلدية تؤيد فقر حاله قبل دخوله المستشفى .هذا وقد بلغ عدد المراجعين في الشهر الاول من افتتاحه (٨٤) مريضا ، شفي منهم (٤٣) مريضاً ،مات (٤) مرضى وبقي (٣٧) مريضا تحت المعالجة .

وابان ولاية نجم الدين ملا (١٩٠٨-١٩٠٩م) تم استرداد بناية مستشفى الغرباء الذي شيده مدحت باشا من دائرة المعارف ، حيث نقلت اليه محتويات المستشفى الذي كان نامق باشا قد أنشاه ، وقام هذا الوالي باعادة اعمار المستشفى عن طريق تبرعات

الاهالي ، وبإسهام خاص منه ايضاً فيما تولت دائرة البلدية الثالثة مهمة الاشراف عليه ، الا ان المستشفى سرعان ما اخذ يتدهور بسبب افتقاره إلى الملاكات اللازمة إلى ان تولى الدكتور محمد كاني(×) ادارة المستشفى سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م الذي كانت له اسهاماته في الارتقاء بواقع المستشفى من خلال توسيعه لقاعاتها ، والاعتناء بتنظيفها ، والتوسع في خدماتها العلاجية . فعلى سبيل المثال ارتفعت اعداد العمليات الجراحية التي اجراها اطباء المستشفى المذكور ، إذ قام الدكتور كاني وحده باجراء ما لا يقل عن ٦٠ عملية جراحية خلال شهر ايلول سنة ١٣٣١هـ/١٩١٣م .ولاول مرة في تاريخ العراق الحديث اسندت وظائف التمريض إلى بعض الراهبات الفرنسيات حيث كان ذلك احد أسباب زيادة إقبال النساء على مراجعة المستشفى المذكور.

وقد استمر هذا المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٧م ، حيث قام العثمانيون باخلائه ونقلوا كافة محتوياته وسجلاته واتلفوا بعضها ، اما الانكليز فقاموا بتحويله إلى مستشفى للامراض العقلية .

ويذكر وليس بدج الذي زار بغداد سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م وجود مستشفى اهلي عائد إلى احد الاشخاص البغداديين كان يعالج الناس مجانا .

وفي سنة ١٣١٣هـ/١٨٩٥م صدر الامر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لانشاء مستشفى اخر في ولاية بغداد حيث جرى إفتتاحه سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٧م سمي بـ "مستشفى المجيدية" ، جرى تخصيصه لمنتسبي الجيش العثماني في العراق ، وكان يديره الاطباء العسكريون المتحقون بالقطعات العسكرية العثمانية في العراق .

وقد جرت محاولات عديدة لتحسين المستشفى وتوسيعه منها المحاولة التي قام بها قائد الفيلق السادس (صدقي باشا) سنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧م . أستمر المستشفى في تقديم خدماته العلاجية حتى الاحتلال البريطاني لبغداد عندما اتخذته القيادة العسكرية للجيش البريطاني مقرا لمستشفاها العسكري تحت اسم المستشفى العسكري البريطاني الثابت رقم (٢٣) .

وفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م جرى افتتاح مستشفى اهلي في بغداد شيدها احد اثرياء اليهود ويدعى مستشفى (مير الياهو الياس) حيث عُدّت من افخم المستشفيات وأكبرها شالوم . ففضلاً عن (٦) صيدليات أهلية في ولاية الموصل وهي صيدلية يوسف سنبل في سوق الشعارين ، وصيدلية عبد الله الحكيم في شهرسوق ،وصيدلية سليمان رمو في محلة الجولاق ، وصيدلية يوسف زيوني في سوق باب السراي ، وصيدلية نجيب قندلا مقابل السجن القديم . فيما اشارت سالنامة ولاية الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠٧ م إلى وجود صيدليتين في كركوك .

وكثيرا ما ارتبطت الصيدلية بوجود طبيب خاص يحدد وجوده في الصيدلية لتقديم العلاج للناس . وكان هناك تجار يقومون باستيراد الادوية من الخارج ، وكثيرا ما استغل باعة الادوية والعقاقير حاجة الناس المتزايدة لبضاعتهم ، فكانوا يبيعونهم الادوية التي انتهى امد صلاحيتها للاستعمال وباسعار عالية مما اجبر الكثير من الفقراء والمحتاجين على عدم شراء الدواء لضعف امكاناتهم المادية . في حين فضل الكثيرون الاعتماد على الاعشاب والوصفات الموجودة لدى العطارين .

مدحت باشا

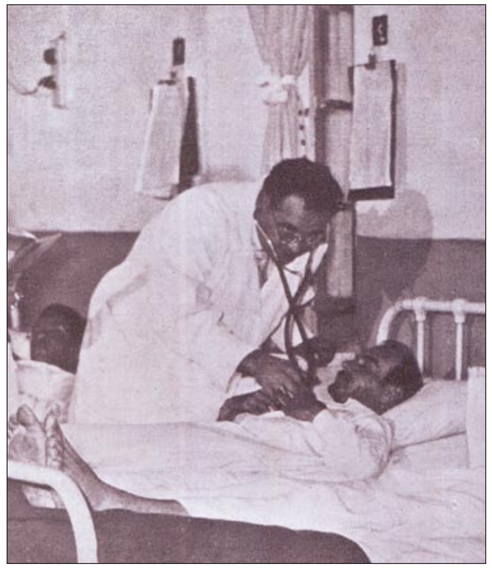

وفي سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م مهمة الاشراف على المؤسسات الصحية إلى الجهاز البلدي الذي ضم في عضويته طبيباً مختصاً يقوم بالاشراف على الشؤون الصحية في المناطق التابعة لادارة البلدية .

وفي سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م تشكلت أول ادارة صحية في العراق في ولاية بغداد ، حيث تألفت من مفتش صحي يعاونه طبيب البلدية ، وكاتب واحد . ومنذ هذا التاريخ انفصلت هذه الدائرة عن البلدية واصبحت دائرة مستقلة ، اعقبها تشكيل دوائر مماثلة في كل من البصرة ،والموصل واما مديرية صحة ولاية الموصل فتكونت وحسب ما ورد في سالنامة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م من المدير محمد نوري أفندي ، والكاتب صادق أفندي ، وكاتب الوفيات (توفيقخانه كاتبي) محمود أفندي ، وسرغارديان وهو رضا بك ، والطبيب حنا خياط ، و(٨) أطباء مناوبين ، ومضمد واحد ، وموظف خدمة .

كانت هناك دوائر صحية في عدد من الاقضية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ذكرت سالنامة ولاية بغداد لسنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ان دائرة صحة كربلاء ضمت ملاكاً وظيفياً تألف من مأمورين وموظفين أثنين . فيما تكونت دائرة صحة خانقين من طبيب وثلاثة اعضاء، ومعاين للجثث الواردة من ايران فضلاً عن عدد من الموظفين . كما اشارت السالنامات العثمانية إلى وجود هيئات صحية في عدد من الولايات العراقية ومنها ولاية بغداد التي تكون ملاكها الوظيفي من وكيل مفتش الصحة ، وعدد من الاطباء بضمنهم طبيب بيطري ، ومأمور اعاشة وقابلة . في حين تكونت الهيئة الصحية لولاية الموصل من مفتش للصحة وطبيب البلدية ، وطبيب بيطري ، ومأمور الاشغال والقابلة . اما عن الدور الذي اسند إلى هذه الهيئات فيبدو انها مارست نوعا من التفتيش الدوري للادارات الصحية الفرعية .

وتقتضي الضرورة هنا الاشارة إلى ان هناك اطرافا اخرى اسهمت في تقديم الخدمات الصحية في العراق إلى جانب السلطات العثمانية ، ولاسيما الارساليات التبشيرية فقد كانت الخدمات الطبية في طليعة الخدمات التي قدمتها الارساليات التبشيرية التي وفدت الى العراق ، إذ ادرك اعضاء هذه الارساليات ... ان تحقيق مثل هذه الخدمات كفيل بتأمين الاحتكاك المباشربالناس ، وبالتالي تأمين الوصول إلى الغايات التبشيرية لان الناس كانوا يومذاك ، بأمس الحاجة إلى مثل هذه الخدمات ، والى ذلك يشير احد اعضاء هذه البعثات بقوله "ان الطبيب المؤهل والجراح الممتاز يملكان ترخيصا يفتح امامهما الابواب المغلقة" .

ولعل ابرز تلك النشاطات نشاط الاباء الدومنيكان الذين قدموا خدماتهم الطبية لاهالي الموصل ، بعد مدة قصيرة من تأسيس وارسالتيهم فيهاسنة ١١٦٤هـ/١٧٥٠م،إذبرز منهم طبيبان ايطاليان هما الاب فرنسيسكو توريناي "Turriani" والاب دومنيكو كودليوتشني "Codeleoncini" حيث استقبلهم الجليليون وافسحوا لهم مجالاً ودافعوا عنهم ، ولم تقتصر خدماتهم الطبية على مدينة الموصل فعندما مرض احد اقرباء حاكم العمادية ارسل امين باشا الجليلي (١٧٥٢-١٧٥٥م) الاب توريناي لمعالجته .

كما اشتهر من المبشرين الدومنيكان الاب جان باتيستاتوبيتي (P.Gain batista Boetti) ، وكذلك الاب يوسف قومبيالي (Marchi) ، والاب اوغسطين مارجي الذي كانت له جهود عمرانية وطبية إذ قام بتشييد ديرمار يعقوب قرب دهوك سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م وفتح مستوصفا لمعالجة الاهالي في المناطق الجبلية الذي استمر في تقديم خدماته العلاجية حتى الحرب العالمية الثانية .

وفي أعقاب إنتقال قيادة البعثة التبشيرية الدومينيكية في الموصل من الايطاليين إلى الفرنسيين سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م برز عدد من الاطباء منهم الاب هياسانت بيسون Besson، والاب لويس ليون Lion والاب كالان Gallan والدكتور دنيس كوليه Gollet وعدد اخر من الاطباء .

وفي سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م مر بالموصل البارون ليجون Lijeune ممثل الامبراطور نابليون الثالث قادماً من بلاد فارس وفي اثناء رحلته اصيب بمرض ادى إلى وفاته بعد حين على أثر ذلك قامت والدته سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م بالتبرع بمقدار كبير من المال لانشاء مستشفى في الموصل سمي باسم "مستشفى ليجون" الذي جرى افتتاحه سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م . واما افتقار ولاية الموصل إلى مثل هذه الخدمات ، لقي المستشفى اقبالا متزايدا من المراجعين إذ بلغ عدد المراجعين سنة ١٢٩٤ هـ/١٨٧٧م (٣٠) الف مراجع ، ليرتفع العدد لسنة١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٨م إلى (٣٨,٢٠٠) مريضاً ، وفي سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م بلغ عددهم ٥٢,٠٠٠ مريضاً . كما احتوى المستشفى ايضا على ردهة للمعوزين والمرضى الغرباء . كما قامت الارسالية نفسها بافتتاح عيادة طبية لمعالجة امراض العيون فضلا عن دار للمسنين .

وفي سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م قامت جمعية التبشير الكنسية الانكليزية Church Missionary Society بافتتاح مستشفى خاص بها في بغداد . حيث تألف في بداية افتتاحه من عيادة خارجية ،واربعة اسرة تم تخصيصها للمرضى الذين هم بحاجة إلى اجراء عمليات جراحية وبمرور الوقت احرز هذا المستشفى تقدما ملحوظا في الخدمات العلاجية التي قدمها ، على الرغم من محاولات السلطات العثمانية اغلاق المستشفى المذكور ، إذ ارتفع عدد اسرة المستشفى حتى وصلت إلى ٣٢ سريرا . في الوقت الذي تألفت الهيئة المشرفة على ادارة المستشفى سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م من طبيبين تابعين للجمعية وصيدلي فضلا عن خادمين وسيدة تم تدريبهم على اعمال التمريض .

وأمام النجاح الذي حققه هذا المستشفى، باشرت الارسالية التبشيرية المذكورة بتشييد مستشفى جديد في محلة السعدون ، الا ان هذا المستشفى سرعان ما توقف العمل به وبشكل نهائي بسبب اندلاع الحرب العالمية الاولى. وفي سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م قامت الارسالية ذاتها بافتتاح اول صيدلية انكليزية في بغداد.

اما بالنسبة لولاية الموصل ، فقد امتد اليها نشاط هذه الارسالية سنة ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م عندما تم افتتاح احدى المستشفيات التي أسندت ادارتها الى الدكتور ستن H. M Sutton أعقبه الدكتور كريفث A. H. Criffth الذي جرى في عهده توسيع المستشفى ، إذ وصل مجموع الاسرة الى (٢٤) سريراً ، كما انضم للعمل في هذا المستشفى عدد من الاطباء العراقيين منهم الدكتور فتح الله ساعاتي ، والدكتور أبلحد عبد النور ، ويبدو ان الاقبال على هذا المستشفى كان ضئيلاً الى الحد الذي اضطر القائمين على ادارته الى إغلاقه سنة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م .

وفي ولاية البصرة ، كان للارسالية العربية Arabian Mission وهي إرسالية تبشيرية أمريكية ظهرت جهودها في هذا المضمار ابتداءا من سنة١٣١٠ هـ/ ١٨٩٢ م ، من خلال الخدمات العلاجية التي قدمها الدكتور ريكز C.E.Riggs ، حيث بلغ مجموع المرضى المستفيدين من هذه الخدمات ، خلال الشهر الاول من افتتاحها (٥٥٠) مريضاً. ثم اخذت اعداد المراجعين بالازدياد خاصة بعد قيام أطباء الارسالية المذكورة باجراء العمليات الجراحية . وفي نهاية سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤ م افتتحت الارسالية المذكورة عيادة نسائية ، كما تم توسيع مجال الخدمة الطبية لتشمل القبائل القاطنة في شمال وشرقي البصرة .

(ذاكرة عراقية) تحاور المهندس ((رواء)) نجل المرحوم ماجد محمد امين المدعي العام لمحكمة الشعب عام 1958

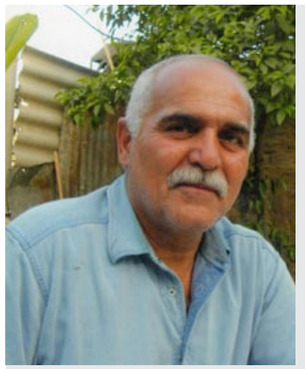

مازالت تلك الصور المأساوية المؤلمة تتداعى في ذاكرة الصبي (رواء) الذي لم يكن حينها قد تجاوز الثانية عشرة من عمره بدت وكانها تتراءى امامه من جديد وهو يستذكر تفاصيل تلك اللحظات الحرجة من حياته ومستقبله، بعد ان احس بان مصير والده ومثله الاعلى ومصير اسرته الكبيرة التي احبها وعاش في كنفها سنوات عمره يتأرجح امام ناظريه متداعيا بين خطر الضياع والموت بابشع صوره..ساعات وايام مخيفة ومرعبة عاشتها تلك الاسرة الصابرة تعكس في صورها هول الماساة المروعة وهم يرون احلامهم الندية بل احلام وامال كل محبيهم ومناصريهم تنهد بمعاول الانقلابيين الجدد فقبل خمسة واربعين عاما مضت وقف رواء ماجد محمد امين متسمرا أمام والده الذي احتضنه بقوة، تغالبه دموع الحزن والم الفراق الابدي..

والدي لم ينتحر وفضل المقاومة والتضحية دفاعا عن مبادئه وقيمه النبيلة

عائلة ماجد محمد امين تبحث عن شهادة وفاة له بعد 48 عاماً

بغداد علي ناصر الكناني

في ذلك اليوم الرمضاني الصعب من شهر شباط عام ١٩٦٣ ، لم يكن ماجد امين الذي يعد واحدا من ابرز الضباط الاحرار المشاركين في ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ والذي تولى فيما بعد منصب المدعي العام لمحكمة الشعب انذاك، يتوقع في ذلك اليوم في ان من هناك من سيخبره وعبر هاتف منزله بخبر وجود انقلاب على الثورة ونظام الحكم.. مما حال دون حركة الجميع باتجاه التحرك السريع للانقضاض على القائمين بالمحاولة وانقاذ الثورة ومما لم تجد في ذلك نفعا فقد فات الاوان وانقضى كل شئ حيث تمت التصفية الجسدية للزعيم وكبار قادته من اخوانه الضباط على وجه السرعة على الرغم من ان هناك من تصدى بسلاحه المتواضع لعناصر السلطة الجديدة ولكن من دون جدوى ومن هؤلاء المرحوم ماجد محمد امين الذي حاولنا من خلال هذا اللقاء ان نستعرض جوانب من سيرة حياته عبراللقاء بنجله المهندس (رواء) الحاصل على شهادة البكالوريوس في هندسة النفط. فالمرحوم ماجد محمد امين الذي طالما تردد صدى صوته الجهوري في قاعة محكمة الشعب خلال محاكمة رجال العهد الملكي، الذي تعرض للقتل اثناء مقاومته لرجال السلطة ابان الانقلاب المذكور حيث قال:

ولد والدي المرحوم ماجد محمد امين عبد الله الامامي في مدينة النعمانية التابعة لمحافظة واسط عام ١٩٢٢ ، وقد واصل دراسته الابتدائية والمتوسطة والاعدادية فيها ، ليقبل بعد ذاك في الكلية العسكرية في بداية الاربعينيات وحصل على شهادة الماجستير في العلوم العسكرية، حيث كان برتبة رائد..ثم واصل دراسته الجامعية في كلية الحقوق والاركان ليتم تعيينه بمنصب امرا لأحد الألوية في منطقة جلولاء بعد ان حصل على رتبة رائد ركن وليتزوج بعدها في عام ١٩٤٨ ثم انتقلنا الى مدينة الحلة حيث يسكن اخوالي واهل والدتي. رغم انه كان مكان عمله في منطقة جلولاء.وفي الخمسينات كان والدي قد انضم إلى مجموعة من الضباط الاحرار وقد وثق ذلك في المصادر التاريخية ومنها كتاب عن ثورة تموز عام ١٩٥٨ للباحث ليث عبد الحسن الزبيدي.وفي عام ١٩٥٧ شارك في احدى دورات الهندسة العسكرية في الولايات المتحدة الامريكية وحصل فيها على المرتبة الاولى على اقرانه وانجز الدورة بفترة قياسية ولكن لألسف الشديد تعرضت الوثائق والصور والمستندات الخاصة به الى التلف والحرق والدمار بعد مداهمة ما يسمى بالحرس القومي عام ١٩٦٣ الى دارنا اثر الانقلاب الذي حصل ذلك الوقت.

من هنا بدأت الحكاية..

× وكيف تمت مفاتحة الوالد (رحمه الله) للاشتراك بالثورة؟

لكون والدي هو احد الضباط الاحرار فقد فاتحه احد اصدقائه المقربين ويدعى (ابو شوكت) وهو من الاخوة التركمان ومعروف بنزاهته ووطنيته واخلاصه للاشتراك بهذه الثورة وقلب نظام الحكم، فوافق من دون تردد، حيث التقى بعدد اخر من الضباط من بينهم العقيد الراحل فاضل عباس المهداوي رئيس محكمة الشعب بعد ثورة ١٤ تموز وقد توطدت معرفته وصداقته بوالدي ابان تلك الفترة، مما شجعه على الاشتراك بالثورة وكنا حينها نسكن في مدينة الحلة وانتقلنا بعدها الى بغداد للسكن في منطقة راغبة خاتون.وأود ان أشير هنا إلى إن والدي كان لا يطلع احد على اسرار اشتراكه بالثورة وما كانوا يخططون له بخصوص اسقاط النظام الملكي وانضمامه الى حركة الضباط الاحرار حتى عن عائلته.

معرفة سابقة بالزعيم ..

× اذن كيف تعرف والدكم على الزعيم عبد الكريم قاسم ؟

لوالدي معرفه سابقة ببطل الثورة وزعيمها الراحل عبد الكريم قاسم ، حيث تعرف عليه، خلال اشتراكه في معارك فلسطين عام ١٩٤٨. إذ كان ضمن قطعات احدى وحدات الهندسة العسكرية فضلاً عن تعرفه هناك على عدد اخر من الضباط الاحرار. وعلى الرغم من كوني كنت صغيرا في السن الا انني تعرفت فيما بعد على الكثير من التفاصيل عن هذه الثورة عن طريق والدتي ومطالعاتي للمصادر والكتب التي تناولت تلك الفترة.وبعد نجاح الثورة تم تشكيل محكمة الشعب حيث تم اختيار المرحوم فاضل عباس المهداوي رئيسا لها ووالدي كمدع عام فيها.

× ماذا جرى في محاكمة عبد السلام عارف..؟

هنا سالت المهندس (رواء) ان يحدثني عن بعض ما حصل في محاكمة الرئيس الاسبق عبد السلام محمد عارف الذي كان لا يطلع احد على اسرار اشتراكه ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بحسب ما تشير المصادر التاريخية ومن ثم اتهامه بالتامر على سلامة الثورة والزعيم فقال:من المواقف التي لاتنسى عن تلك الفترة هي اصرار والدي على تطبيق حكم المحكمة الذي صدر بحق عبد السلام محمد عارف لاتهامه بالخيانة العظمى الا ان المرحوم عبد الكريم قاسم رفض تطبيق هذا الحكم بحقه، وطالب بتخفيفه الى السجن، وقد حدث ذلك بعد جلسة المداولة التي دارت بين المرحوم فاضل المهداوي رئيس المحكمة ووالدي، وامام اصرار والدي على تطبيق وتنفيذ الحكم بحق عبد السلام اضطر المهداوي للاتصال بالزعيم من والدي لتخفيف عقوبة الاعدام عن عبد السلام رفض ذلك قائلا له ان هذا الشخص سوف يكون اول من يتامر عليك ولذلك ارجو قبول استقالتي. فصدر الحكم على عبد السلام بالسجن بدلا من الاعدام. ولم يكن والدي حاضرا لحظتها في قاعة المحكمة وبقي جليس المنزل لمدة خمسة عشر يوما.

الزعيم في بيتنا..!

وعلى اثرها زارنا الزعيم في بيتنا ليطلب من والدي التنحي عن استقالته والعودة للمحكمة، وفعلا بعد ايام عاد والدي الى عمله . تقديراً للزعيم ومكانته عنده.وقد دخلت يومها الى غرفة الاستقبال لاجد نفسي امام زعيم الثورة فاستقبلني بابتسامته المعهودة واجلسني في حجره ثم سألني عن دراستي حيث كنت يومها في الصف الرابع الابتدائي، فقبلني وشجعني على ان اكون الأول على اقراني في الدراسة.

ماذا حدث في (٨) شباط..؟

ثم حدثنا المهندس رواء عما يتذكره عن الانقلاب الذي حصل في ٨ شباط عام ١٩٦٣ قائلا :مازلت اتذكر ذلك اليوم المشؤوم من صباح يوم الجمعة وكان قد حل علينا شهر رمضان المبارك وكنا صائمين رغم صغر سننا وقد جلست مع اخوتي الاخرين لمشاهدة افلام كارتون من التلفزيون. وكان والدي يتاهب للذهاب مع صديقه ابوشوكت لغرض الصيد وهنا رن جرس الهاتف ليطلب احد الاشخاص التحدث مع والدي، ليعلمه بان هناك محاولة انقلاب ضد الحكم ، فدخل والدي على الفور الى غرفته واستبدل ملابسه، بملابس مدنية اخرى واخفى تحت قميصه مسدسه الشخصي، وقد أحس ساعة الوداع الاخيرة والابدية قد حانت فقبلنا الواحد بعد الاخر وهمس في اذني وقد اغرورقت عيناه بالدموع بان اهتم بوالدتي واسمع كلامها ولا اخالف لها امرا واوصى بقية اخوتي كذلك بهذا الامر.فخرج برفقة صديقه ابو شوكت

المدعي العسكري ماجد امين اثناء محاكمة بهجت عطية

المدعي العسكري ماجد امين في محكمة الشعب

الذي كانت سيارته على ما اذكر نوع (مسكوفتج حمراء) الا انه لم يخبرنا بوجهته، وقال لوالدتي بان سائقه الشخصي المرحوم كاظم سياتي الينا لنقلنا الى مكان اخر، كما طلب من جنود الحماية الموجودين قرب دارنا بعدم المقاومة حرصا منه على حياتهم والذهاب الى عوائلهم فيما لو تعقدت واشتدت الامور. في الطريق الى الصويرة والنعمانية..

وبعد اسبوع تقريبا اذاع التلفزيون خبر مقتل والدي وهو في طريقه الى الصويرة والنعمانية في منطقة تقع بين الصويرة والزبيدية بعد ان تعرف عليه احد الاشخاص في احدى نقاط السيطرة وقد قاوم بسلاحه رجال السلطة وتمكن من قتل عدد منهم مما ادى الى تكثيف النيران عليه اثناء مطاردته في احد البساتين فتمكنوا منه، وهنا اود ان اشير الى إن هناك شائعات قد ترددت في حينها تدعي بانه انتحر ولكن استطيع ان اجزم هنا بالنفي والمستحيل ان يقدم على مثل هذه الخطوة وذلك لانه انسان مؤمن ويخشى الله سبحانه وإلامر ماكان ليقاتل ويدافع عن نفسه، ولكن مع الاسف الشديد اننا ولحد الان لم نعثر له على قبر او شاهد سوى انه دفن في المكان الذي استشهد فيه وهذه الحالة المؤلمة شملت جميع الضباط الاحرار الذين شاركوا في الثورة وضحو بانفسهم من اجل وطنهم واستقلاله وحريته، اما اخر رتبة حصل عليها فكانت عميد التي لم يمض عليها سوى شهر واحد تقريبا، قلت للمهندس رواء ماجد محمد امين، لنعد الى لحظات خروجكم من المنزل بعد مجئ سائق والدكم الشخصي المرحوم كاظم فأضاف قائلا: بعد ان اوصى والدي (رحمه الله) والدتي قبل خروجه الاخير بان نذهب مع سائقه الخاص المرحوم رئيس عرفاء كاظم مريوش بسيارتنا المدنية باتجاه دار جدي في منطقة النعمانية وفي حالة تعذر ذلك الذهاب الى الحلة حيث بيت اخوالي. وفعلا توجهنا الى الحلة لانه كانت هناك صعوبات امام طريقنا للوصول الى النعمانية في مدينة الكوت. وبعد ان ذهبنا بصحبته الى منطقة بغداد الجديدة حيث بيت اعمامي عاصم وحامد اللذين كان احدهما قائداً لاحدى الفرق العسكرية ولكن خوفا عليهم من انتقام السلطة منهم قررنا مغادرة بيت اعمامي الى مكان اخر.

العائلة والصحاف ..

× ما علاقة الصحاف بعائلة ماجد محمد امين ؟

علاقات متشابكة..

× وما هي طبيعة العلاقة التي تربطكم بعوائل وابناء بعض اصدقاء الوالد من ضباط الثورة..؟

كانت لنا علاقة طيبة جدا بعدد من هذه العوائل انذاك ومنها عائلة المرحوم فاضل المهداوي والمرحوم جلال الاوقاتي الذي اغتيل هو الاخر في منزله. واود ان اذكر هنا ايضا ان لوالدي علاقة طيبة وجيدة بالاديبين فخري وناجي جواد الساعاتي اللذين كانا يستضيفانهما في البساتين العائدة لهم في كربلاء. رغم ان والدي كانت له علاقة جيدة بالسيد جلال الطالباني رئيس الجمهورية الحالي، الا اننا لم نلتقي احدا سوى السيد حميد مجيد موسى امين عام الحزب الشيوعي العراقي وطلبنا الوحيد من حكومتنا الحالية هو رد الاعتبار لوالدي ولجميع الضباط الاحرار الابطال الذين باتوا طي النسيان ولا يتذكرهم احد. ومن الجدير بالذكر ان للمرحوم ماجد محمد امين ابناء آخرين اضافة الى رواء وهم كل من، الدكتور ولاء تولد ١٩٤٩ وهو برفيسور في طب الاسنان ورئيس قسم الاسنان في الجامعة الاردنية وثناء وهي معلمة متقاعدة مواليد ١٩٥٠ وسلام ويحمل شهادة دكتوراه في طب استقالة وزارة الدفاعي السابعة سنة ١٩٥٣ حيث كان المقترح ان يكلف نوري السعيد بتشكيل الوزارة نظرا لامتلاكه الاغلبية البرلمانية الا انه حين استدعي نوري الى البلاط الملكي اخبره عبدالاله بأنه أسف اشد الاسف لان الملك سبقه الى تكليف الجمالي.

حجة وفاة بعد 48عاماً!

لقد اخبرني المهندس رواء بأمر لايخلو من العجب والغرابه وهو انه مازال لحد الان ومنذ ٣سنوات في طور المراجعة للجهات والدوائر المعنيه بغيه الحصول على شهادة وفاة لوالده المرحوم ماجد محمد امين بعد ان استعنته مؤسسه الشهداء في محافظه واسط لتخصيص قطعة ارض للعائله في مسقط راس والده النعمانيه ومن بين المستمسكات لاكمال المعامله كانت شهاده الوفاة للشهيد ،وعلى حد قوله ،هل لك ان تتصور بأني اتعيتني الكثرة المراجعات مما اضطرني للاتصال بالاستاذ حميد مجيد موسى مسؤول اللجنه المركزيه للحزب الشيوعي العراقي الذي اخبرني بأن هناك مداولات في مجلس النواب لاعتبار شهداء انقلاب عام ١٩٦٣هم شهداء الوطن ،وفعلا صدر قرار ديواني بذلك وتم على اثرها تزويدي بكتاب الى محكمه الاحوال الشخصيه في الكاظميه على ان تقوم باحضار شاهدين باعمار كبيره ليتم منحنا حجة وفاة بعد ٤٨ عاما على استشهاده!!

ماجد امين

الخلاف بين الوصي ونوري السعيد ؟

فؤاد الونداوي

من سخرية الاقدار ان يكون نوري السعيد العنصر الاساس في تولي الامير عبدالاله منصب الوصاية على الملك فيصل الثاني في نيسان ١٩٣٩ اثر وفاة والده الملك غازي في حادث السيارة المزعوم، حيث بذل كل مافي وسعه بالاستعانة بوزيريه رستم حيدر وطه الهاشمي لاستبعاد اسماء كافة المرشحين الاخرين وخاصة الامير زيد عم الملك غازي. ولم يتورع السعيد عن ان يقنع الملكة عالية والاميرة راجحة للادلاء بافادة مفتعلة فحواها ان الملك القتيل كان قد اوصى باناطة الوصاية بالامير عبدالاله فيما لو غيبه موت مفاجئ قبل ان يبلغ ابنه فيصل الثاني سن الرشد، اقول ان من سخرية الاقدار ان ينشأ بين عبدالاله ونوري جفاء مبكر ظل قائما بين الطرفين حتى ختام حياتهما.

وكانت لهذا الجفاء ظواهر ودلائل الا انها لم تطف على السطح ولم تدع غالبية الناس يستشعرون بها لكثرة وطول المرات التي تولى فيها نوري السعيد رئاسة الوزارة في عهد عبدالاله وغاب عن الكثيرين ان الاخير كان يسعى دوما لان لايولي نوري السعيد رئاسة الوزارة الا انه كان يضطر الى اختياره لاسباب خارجة عن ارادته، وقد بدأ عبدالاله مجافاته لنوري السعيد مبكرا حتى ان طه الهاشمي يذكر في مذكراته ان نوري قال له بالحرف الواحد (هل رأيت كيف يشاكسنا خفية هذا الفتى الذي صنعناه بايدينا) وفي تحليل اسباب نفرة عبدالاله من نوري السعيد وهو صاحب الفضل الاول في صنعه فاننا لانجد سببا غير نزعة (السلطوية) لدى عبدالاله حيث كان يخيل اليه ان شخصية نوري السعيد قد تطغى على شخصيته وانه بوجود نوري على رأس السلطة التنفيذية يجعل دوره في تمشية الامور ثانويا.

عبد الاله

نوري السعيد

مناورات الوصي

الا ان عبدالاله لم يكن يجرؤ على مجاهرة نوري بالجفاء بل كان يناور لتحقيق مأربه فتارة كان يوعز الى بعض الساسة للامتناع عن المشاركة مع نوري عند تأليف وزارته مما يضطره الى التخلي عن المهمة التي اوكل اليه تنفيذها.. او يوعز الى بعض النواب باتخاذ مواقف تحرج نوري السعيد وتعرقل اعمال وزارته، وكان السعيد يشعر بذلك جيدا ولكنه لم يكن يجرؤ على المكاشفة الصريحة لانه لم يكن يأمن العواقب، وكان عبدالاله يذهب احيانا بعيدا عن الافصاح عن عدم الرغبة في تقريب نوري السعيد من السلطة ومن امثلة ذلك ماحدث بعد استقالة وزارة المدفعي السابعة سنة ١٩٥٣ حيث كان المقترح ان يكلف نوري السعيد بتشكيل الوزارة نظرا لامتلاكه الاغلبية البرلمانية الا انه حين استدعي نوري الى البلاط الملكي اخبره عبدالاله بأنه أسف اشد الاسف لان الملك سبقه الى تكليف الجمالي.

موقف سوريا من السعيد

كما تكرر مايشبه ذلك سنة ١٩٥٧ حين اخبر عبدالاله نوري السعيد بأن الملك كان يعتزم اعادة تكليفه بتشكيل الوزارة بعد وزارته الثالثة عشرة ولكن مبعوثي الملك الى سوريا اخبروه بأن السوريين يتطيرون من نوري وانه اذا كانت ثمة رغبة جدية لدى المسؤولين في العراق للتصافي مع سوريا وعقد اتفاقيات تقارب ووئام فينبغي ان لايكون على رأس الوزارة العراقية نوري السعيد.

ولهذا السبب انيطت رئاسة الوزارة بعلي جودت.

مواقف غير ودية

ولم يكن موقف نوري تجاه هذه (المناورات) يخلو من التذمر والانزعاج الذي يشعر به (المقامات العليا) ومن ابرز مواقفه بهذا الخصوص ماتضمنه كتاب استقالته المؤرخ ٢٣ مايس ١٩٤٤ والذي اشار فيه بصراحة الى المواقف غير الودية التي يقفها البلاط من وزارته، كما ان اشهار استيائه الشديد عقب استقالة وزارة ارشد العمري سنة ١٩٥٤ واعلانه مايشبه القطيعة مع عبدالاله كان قمة مواقفه الرافضة لكل ما من شأنه عدم اعتباره المستشار الاول والاخير في كل صغيرة وكبيرة، هذا الموقف الذي ارغم عبدالاله على الرضوخ الى مشيئته بصورة مطلقة وان لا يجرؤ حتى مع معاتبته حين نصحه نوري بتولي منصب سفارة العراق في واشنطن قبل ان يغيبهما الموت بعد عدة ايام في ١٤ تموز ١٩٥٨.

مساجد الأعظمية

د. هيثم عبد السلام محمد

باحث ومؤرخ

كل من كتب عن بغداد ومحلاتها ذكر مساجدها وجوامعها لكثرتها ولعناية أهلها بها، وهناك من أفردها بالتأليف مثل الشيخ محمود شكري الألوسي (ت ١٩٢٤م) في كتابه "تاريخ مساجد بغداد وآثارها" والسيد عبد الحميد بن بكر صدقي عبادة(ت١٩٣٠م) في كتابه "العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع" والسيد محمد سعيد الراوي(ت١٩٣٥م) في كتابه "خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد"

وآخر من صنف كما نعلم الشيخ يونس إبراهيم السامرائي "ت ١٩٩٠م" في كتابه "تاريخ مساجد بغداد الحديثة"، وبعد العمران الحاصل في بغداد و توسعها وكثرة ناسها مما حدا بالكثير إلى بناء المساجد " التي لا تقام بها صلاة الجمعة، والجوامع التي تقام بها صلاة الجمعة"، وهي تحتاج إلى التدوين والتعريف بها للناس والمهتمين، لذلك سنذكر المساجد التي بنيت في العقدين أو الثلاثة الأخيرة في الأعظمية وما جاورها ولم يتطرق إليها أحد بالكتابة، ونبتدأ بالأعظمية:

١- مسجد الأطباء: يقع مقابل محكمة الأعظمية وهو صغير جداً، و هو في الأصل قطعة أرض تم بناؤها كعيادة طبية خيرية مع تخصيص جانب من هذه القطعة لمسجد صغير ويتولى الإمامة فيه الشيخ لواء محمد شمس الدين وهو طالب علم مقابر، تم افتتاحه في عام ١٩٩٤م.

٢- جامع الرحمن الرحيم: يقع في السفينة قرب جسر الاعظمية القديم، ويطل على نهر دجلة ولا يفصل بينه وبين النهر سوى شارع، وقد قام بتصميمه وتنفيذه قحطان عدنان نايف، وتم تشييده على نفقة الحاج وليد عبد الرزاق أحمد نجم وافتتح سنة ١٩٩٩م. ويتكون من طابقين، الطابق السفلي مصلى للنساء وتبلغ مساحته تقريباً ٢٠٠م٢، وقد اغتيل فيه الأخ غازي فيصل الجبوري الذي كان يدير شؤونه سنة ٢٠٠٩م عند صلاة الفجر، ويتولى الآن الخطابة فيه الشيخ لـواء محمد الإمامة عبد الرحمن رشيد عبد الرحمن.

٣- جامع السيد مهدي صالح الشمسي ويعرف "جامع شمسي"

يقع مقابل القصور الرئاسية في كورنيش الاعظمية، وموقعه هذا قد جلب عليه المتاعب والمشاكل، لأن القصور الرئاسية مقراً للقوات الأمريكية ثم العراقية وكثيراً ما تعرض للأضرار والضرب وما زالت آثارها على واجهة الجامع، واغلق في أحيان كثيرة، وما زال المصلون فيه قلة بسبب ذلك ويتولى الإمامة والخطابة فيه الشيخ علي طارق، وفيه القارئ المتقن للقراءة المصرية الحاج أحمد حسن أحمد، وهو من القائل الذين يجيدونها في الاعظمية، ويتكون الجامع من طابقين، الطابق الأسفل مصلى النساء والأعلى مصلى الرجال وتبلغ مساحته ١١٠٠م٢ تم افتتاح الجامع العام ٢٠٠١م وهو جميل وفخم، وتتولى عائلة شمسي الإشراف على الجامع.

٤- مسجد العزيز: مسجد صغير يقع خلف مركز شرطة الاعظمية داخل الفرع شيده الفاضل أياد العجمي وافتتح في رمضان من العام ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م وتبلغ مساحته تقريباً ٢٥٠م٢.

٥ - مسجد المستعصم بالله: وهو ما يعرف عند أهل بغداد بمرقد أبي رابعة أو قبر النذور والذي كانت تقام عنده كسلات بغداد المشهورة، وهي زيارة خاصة تكون يوم الأربعاء الذي يلي أيام عيدي الفطر والأضحى، ويتجمهر الناس عند المرقد ويظهرون الفرح والسرور ومعهم الطعام والشراب، وقد انقرضت هذه العادة منذ زمن إلا أن الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف كتب مقالات نشرها في مجلة الرسالة الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف في حينها أن هذا القبر يعود إلى الخليفة المستعصم بالله وليس لأبي رابعة فأخذ بقوله وتم ترميم المرقد وبني أمامه مسجد صغير وأصبح يعرف بين الناس مسجد المستعصم بالله، وهو جميل ومرتب تم افتتاحه في سنة ٢٠٠٥م ويتولى الإمامة فيه الشيخ وليد جاسم حسن وهو مؤدب وعلى خلق عالي، ويقع المسجد في منطقة النصة بالأعظمية.

٦- مسجد الريان: مسجد صغير يقع في وسط شارع سهام المتولي، المسجد يقع في الطابق الأرضي وتعلوه عدد من الشقق السكنية تم افتتاحه سنة ٢٠١٠م وتبلغ مساحته تقريباً ٩٠م٢ وقام بتشييده الحاج أبو حسن من أهالي ديالى، ويتولى الإمامة فيه الخطيب البارع داود الألوسي

مساجد راغبة خاتون

٧- مسجد الأنبياء: مسجد جميل يقع في بداية راغبة خاتون قرب مكتبة الصباح سعى في بنائه وتصميمه السيد عامر عبد الجبار زعين العاني، وهو مهندس محترف وقد صمم وساهم في بناء أكثر من عشرين مسجداً وأخرهم جامع الصرافية قرب جسر الصرافية وقد تم اغتياله سنة ٢٠٠٥م رحمه الله تعالى، وفي المسجد مصلى للنساء في أعلى الحرم، وتبلغ مساحة الجامع ١٠٠٠م٢ تقريباً، ويتولى الإمامة فيه الشيخ مصطفى سعد وهو طالب علم مجد، تم افتتاح الجامع في رمضان ١٤١٩هـ ١٩٩٩م ويشهد الجامع نشاطاً علمياً ودينياً

٨- مسجد أحمد ياسين: ويقع في الشارع الذي يربط بين راغبة خاتون قرب جامع العساف وشارع عمر بن عبد العزيز. وكانت الأرض في الأصل تعود للدولة وبعد بناء الجامع تم استملكها ويعود الفضل في بناء الجامع واستملاك الأرض للدكتور قتيبة ضياء سهيل والذي ما زال يعمل بالجامع حسبة الله(أي بدون أجر) مع الأخ منهل مصطفى العاني، تم افتتاح الجامع عام ٢٠٠٥م ويبلغ مساحته تقريبا ٤٠٠م٢.

٩- مسجد الهادي البشير: يقع قرب متوسطة الاحرار للبنين في راغبة خاتون قام بتشييده الحاج عبد الهادي عبد الحسن وافتتح سنة ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م ويتولى الإمامة فيه حسبة الله الشيخ سيف إسماعيل والمسجد متواضع وبسيط وتبلغ مساحته تقريبا ٢٥٠م٢.

مساجد الصليخ

١٠- جامع الشهيد صبري حسن صبري ويعرف بين الناس "جامع الشهيد" وهو يقع نهاية سوق الصليخ، وقد قام أهل الشهيد الذي استشهد في الحرب العراقية الإيرانية بشراء قطعة الأرض من السيد حلك صدق وقاموا ببناء الجامع بمعاونة بعض المحسنين والأوقاف ثم قاموا بتسليم الجامع إلى الأوقاف وقد تم افتتاح الجامع سنة ١٩٨٥م وتبلغ مساحته تقريبا ٣٣٣٣م٢ ويحوي على مصلى للنساء يقع على يمين مصلى الرجال، وهو جامع كبير وبعض أهله ما زالوا يسكنون في الجامع ويحرصون على تنظيفه والاعتناء به بأنفسهم ويستنفرون الجميع الرجال والنساء والأطفال لهذه المهمة ويفخرون بذلك. وقد تولى الإمامة والخطابة والسكن في الجامع الشيخ الدكتور طه الدليمي مدة طويلة تقرب من عشرة سنوات انتهت سنة ٢٠٠٣م ثم تولى بعده الشيخ الدكتور منير العبيدي لمدة سنتين والآن يتولى الإمامة والخطابة الشيخ رائد صادق محمد، والجامع له نشاط فعال في المنطقة.

١١- جامع نجيب: وهو يقع في "الستمية" قام بتشييده الحاج نجيب أديب عبد الرزاق العاني، وتم وضع حجر الأساس فيه سنة ١٩٩٠م وافتتح سنة ١٩٩٢م وبعد بضع سنوات ، وقيل في سنة ١٩٩٧م انهارت قبة الجامع بعد صلاة العصر وأصيب بعض المصلين بالأذى البسيط ثم أعيد بناء القبة والجامع يحوي مصلى للنساء في أعلى الحرم، ومكتبة كبيرة افتتح فيها مركز زيد بن ثابت لإقراء وتحفيظ القرآن الكريم سنة ٢٠١١م، وتبلغ مساحته تقريبا ١٥٠٠م٢، وقد نكب الجامع بعدة نكبات، فقد تم اعتقال إمامه وخطيبه من منزل الجامع الشيخ عبد الستار عبد الجبار في سنة ٢٠٠٤م، ثم بعد ذلك تم خطف واغتيال عدد من شبابه المصلين ويبلغ عددهم "١٤" شخصاً أثناء عودتهم من العمل من الخط السريع مقابل وزارة النفط من قبل سيطرة وهمية وقتلهم شر قتلة وفيهم الحفظة لكتاب الله تعالى في سنة ٢٠٠٧م وقبل مدة قصيرة تم اعتقال إمام وخطيب الجامع الشيخ عدنان هاشم النعيمي.

١٢- جامع الحميد المجيد: وهو جامع كبير ولطيف وله حرم فخم قام المحسن الحاج حميد سعيد ببنائه واستغرق وقتا طويلا لإتمامه تم افتتاحه سنة ٢٠٠٣م ومصلى النساء يقع في أعلى الحرم، وتبلغ مساحته تقريباً ٢٥٠٠م٢، وبجواره قاعة للمناسبات الدينية ويتولى الإمامة والخطابة الشيخ فاضل حسن نجم ومعه الشيخ لؤي، وحول الجامع مصلون كثر ملتزمون بدينهم.

١٣- مسجد الأبرار: وهو مطل على الخط السريع لمحمد القاسم وقد قام بتشييده الدكتور كوان العاني وتم افتتاحه سنة ٢٠٠٥م وشكله يشبه المثلث ومساحته تقريبا ٦٠٠م٢، وقبة المسجد تشبه قبة المسجد الأقصى وحرمه صغير ويتولى الإمامة فيه الشيخ مهند سامي داود.

مساجد حي تونس (الجمعيات)

١٤- جامع الخفاف: يقع على مقربة من الخط السريع لمحمد القاسم وهو جامع كبير ،قام ببناء الجامع الحاج إدريس الخفاف وتم افتتاح الجامع سنة ١٩٩٣م وتبلغ مساحته تقريبا ٢٥٠٠م٢ وكان يتولى الإمامة والخطابة فيه الشيخ الدكتور خليل الياس إلا أنه غادر البلاد بعد الاحتلال بسبب التهديد ويتولى الإمامة والخطابة الآن الشيخ سيف عادل حسين ويشهد الجامع في صلاة الجمعة حضوراً كبيراً.

١٥- جامع القرآن الكريم: تم تشييده على نفقة المحسن سعد مصطفى الإعظمي وشقيقته، وكان في الأصل مسجداً لا تقام فيه صلاة الجمعة ثم سمح فيه بإقامة صلاة الجمعة والجامع مساحته كبيرة قد تزيد على ١٥٠٠م٢ إلا أن حرمه صغير جداً فأكثر الجامع ساحة فارغة، افتتح الجامع سنة ٢٠٠١م- ١٤٢٢هـ. ويتولى الإمامة والخطابة فيه الشيخ حسن صبري سلمان.

مساجد سبع ابكار

١٦- جامع مالك الملك: ويقع في منطقة الكويتي ومساحته تقريبا ٢٠٠م٢ وقد قامت الحاجة ميسون عبد الدايم بتشييده وتم افتتاحه في العام ١٩٩٧م وهو يشكو قلة المصلين، وكانت الإمامة والخطابة فيه للشيخ ضياء الجنابي وقد اغتيل في العام ٢٠٠٦م رحمه الله تعالى ويتولى الإمامة والخطابة فيه الآن الشيخ محمد علي صكر المشهداني ويسكن في الجامع ولا يوجد في الجامع مسكن للإمام ولكن تم ترتيب مسكن متواضع وضيق جدا.

١٧- جامع الوقف السني: وهو ملاصق لديوان الوقف السني الذي تولى تشييده، وقد كان الهدف من إنشائه أن يكون مصلى للعاملين بالوقف حصراً، إلا أنه افتتح أمام أهالي المجمع ومن حوله وأصبحت تقام فيه صلاة الجمعة، ويتولى الإمامة فيه الشيخ صفاء عبد السلام الحيالي ، والخطابة الشيخ عبد الستار عبد الجبار والشيخ عبد الرحمن النعيمي امام الجامع محاضرات دينية قيمة يلقيها على المصلين مع الشيخ ضياء محمد صالح، والجامع جميل ومرتب وجميع مستلزمات الجامع متوفرة فيه افتتح الجامع سنة ٢٠٠٥م

١٨- مسجد الهدى: يقع في آخر المجمع السكني لمنتسبي ديوان الوقف السني وحجمه صغير جداً إلا أنه نظيف وهادئ وقد قامت الحاجة هدى ببنائه وسمي الجامع على اسمها ويتولى الإمامة فيه الشيخ صلاح مهدي صالح، افتتح سنة ٢٠٠٦م، وفيه نشاط علمي جيد ينهض به الشيخ عبد الرحمن النعيمي مع إمام المسجد.

وجميع المساجد التي ذكرناها يتولى ديوان الوقف السني الإشراف عليها ورعايتها وينهض بأعبائها من غير تقصير .

أسماء شوارع بغداد قبل 80 سنة

رفعت مرهون الصفار

تجري الايام جريان السيول، فتمحو اشياء وتغيب اشياء وتتبدل اشياء وتهلك ملوكاً وتستخلف آخرين وهذه سنة الحياة وديدنها والاسماء مما تتعرض للتطور والتغير والتبدل والمحو والتغيب، خصوصا اسماء المدن واسماء شوارعها، ولما كانت هناك فكرة لتغيير واضافة اسماء جديدة الى شوارع بغداد وقد تؤلف لجنة لذلك لذا أحببت ان اذكر ما تبدل من اسماء وشوارع بغداد وما بقي منها خلال الـ ٧٥ سنة الماضية، فقد سمت امانة بغداد (امانة العاصمة) سابقاً شوارع بغداد في عام ١٩٣٠ كما يلي:

شوارع بغداد الغربية (الكرخ)

١- الشارع الممتد بين رأس الجسر الجديد في جانب الكرخ نحو الصالحية ومحطة السكة الحديدية (يسمى شارع الملك فيصل)

٢- الشارع الممتد بين شارع الملك فيصل وكرادة مريم يسمى (شارع المنصور)

٣- الشارع الممتد بين رأس الجسر القديم نحو علاوي الحلة المنتهي بشارع الملك فيصل يسمى (شارع الحسيني)

٤- الشارع الممتد بين شارع الحسيني وتمثال مود الى شارع الملك فيصل نسبة الى صلاح الدين الايوبي يسمى (شارع صلاح الدين)

٥- الشارع الممتد بين رأس الجسر القديم بجانب الكرخ ومحطة (الترامواي) الى منتهى الجعيفر يسمى (شارع موسى الكاظم)

شوارع بغداد الشرقية (الرصافة(

١- الشارع الممتد بين الباب الشرقي وباب المعظم نسبة الى الخليفة هارون الرشيد يسمى (شارع الرشيد)

٢- الشارع العرضاني الممتد من جامع مرجان الى نهر دجلة كانت اللجنة اقترحت تسميته شارع الصيارفة، فالمجلس لم ير هذه التسمية تتفق والنهضة ولاجله قرر تسميته (شارع السموأل)

٣-الشارع الممتد بين رأس الجسر الجديد ومحل اورزدي باك المنتهي بشارع السموأل نسبة الى الخليفة المنتصر بالله يسمى (شارع المستنصر)

٤- الشارع الممتد بين رأس الجسر القديم بجانب الرصافة وشارع الرشيد نسبة الى الخليفة المأمون يسمى (شارع المأمون)

٥- الشارع الممتد بين شارع الرشيد و العبخانة يسمى (شارع مدحت باشا)

٦- الشارع الممتد بين شارع الرشيد امام السيد سلطان علي نحو العوينة نسبة الى النعمان بن المنذر يسمى (شارع النعمان)

٧- الشارع الممتد بين الباب الشرقي على ساحل النهر الى كرد الباشا يسمى (شارع أبي نواس)

٨- الشارع الممتد بين شارع الرشيد و الحضرة الكيلانية الى خارج البلد يسمى (شارع الكيلاني)

٩-الشارع الممتد بين الباب الشرقي على السدة نحو بعقوبة الى نقطة الشركة الاخيرة نسبة الى سعد بن ابي وقاص يسمى (شارع سعد)

١٠- الشارع الممتد من المنطقة الاخيرة لشارع سعد نحو العلوية الى نقطة اتصال الشوارع جنوب العلوية يسمى (شارع الامير غازي)

١١- الشارع الممتد بين ملتقى سعد وشارع عبد المحسن السعدون المار من امام مخفر السنك المنتهي في شارع الكيلاني يسمى (شارع الغزالي)

١٢- الشارع الممتد من شارع الرشيد مارا امام دائرة البريد وامام امانة العاصمة الى سوق السراي يسمى (شارع حسن باشا)

١٣- الشارع الممتد بين شارع حسن باشا الذي يبدأ من الفسحة الواقعة امام الشرطة الى شارع الرشيد يسمى (شارع خالد بن الوليد)

١٤- الشارع الممتد بين منتهى شارع حسن باشا الى شارع الرشيد يسمى (شارع المتنبي)

١٥- الشارع الممتد بين باب المعظم والاعظمية يسمى (شارع الامام الاعظم)

١٦- الشارع الممتد بين شارع الرشيد وجامع الفضل يسمى (شارع الفضل)

١٧- الشارع الذي يبتدئ من باب المعظم من دار نوري باشا نحو السدة الى منعطف طريق الشيخ عمر يسمى (شارع نوري السعيد)

١٨- الشارع الممتد بين منتهى شارع نوري السعيد مارا من امام الشيخ عمر المنتهي بنقطة تلاقي شارع الامير غازي وشارع سعد يسمى (شارع الشيخ عمر)

١٩- الشارع الممتد من باب المعظم نحو المستشفى المنتهي في الشريعة نسبة الى ابي بكر الرازي يسمى (شارع الرازي).

٢٠- الشارع الممتد من شارع الرازي نحو الجنوب الى منعطف الطريق نحو شارع الامام الاعظم يسمى (شارع العسكري)

٢١- الشارع الممتد بين شارع الامام الاعظم وشارع العسكري المخترق محلة الفيصلية يسمى (شارع ابن سينا)

٢٢- الشارع الممتد بين شارع المستنصر وشارع الرشيد يسمى (شارع البدوي) مقابل غرفة تجارة بغداد.

٢٣- الشارع الممتد بين شارع الحسيني (المسمى سابقاً بشارع الشواكة) المنتهى بشارع صلاح الدين يسمى (شارع المعري)

أحب ان اضيف ان امانة بغداد (امانة العاصمة سابقا) قررت في نفس السنة ١٩٣٢ شق شارع موازٍ لشارع الرشيد يمتد من الباب الشرقي الى باب المعظم بعرض (٢٠ مترا)

الا ان هذا العمل توقف مرات ومرات بسبب ظروف الاستملاك وبسبب الطريقة التي جرى فيها العمل حيث كان المبلغ المخصص لذلك هو (٣٢ ألف دينار)

وكان العمل يجري بطيئاً واحياناً يتوقف كلياً ولم ينجز هذا المشروع الا في اوائل الخمسينيات وسمي بشارع (الملكة عالية) ثم ابدل اسمه بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الى (شارع الجمهورية) وابدل ثانية قبل سنوات الى (شارع الخلفاء نسبة الى (جامع الخلفاء) ولذي يقع بالقرب من سوق (الشورجة الحالية) مقابل (كنيسة اللاتين).

شارع حيفا

شارع الرشيد

مدن وذكريات ..

أبو صخير

باسم عبد الحميد حمودي

هي اليوم مركز قضاء تابع لمحافظة النجف الاشرف .وقدكانت قبل انتشار النجف – كقضاء – في السبعينات عن كربلاء وتحولها الى محافظة تابعة الى محافظة القادسية (الديوانية اليوم) .

تبعد ابو صخير عن النجف عشرين كيلو مترا وعن ناحية الحيرة (الجعّارة سابقا) كيلومترين في حسابات عام ١٩٤٦ وذلك يعني ان المباني قد امتدت بين المدينتين وانحسرت تلك البساتين الجميلة التي كانت تفصل بينهما .

يخرج من نهر الفرات عند نهاية حدود البلدة القديمة (وأنا أتحدث هنا عن الفترة١٩٤٦-١٩٤٧) جدول صغيرمتد غربا باتجاه مدينة الحيرة ومزارعها هو جدول الغازية او الغازي بلغة اخرى ، والتسمية هنا منسوبة للملك غازي الاول الذي تم حفر النهير في عهده لايصال الماء الى بساتين هذه المدينة التاريخية التي عرفها العالم قبيل الاسلام ، وهي عاصمة لدولة المناذرة التي ازدهرت حضارة العراق زمنها بفعل ذلك التلاقح بين ثقافة المدينة وثقافة الصحراء ، وهي ترتبط بعلاقتها الوثيقة بالحضارة الساسانية التي كانت تهيمن على النصف الشرقي من العالم بقدر ما كان توازن القوى عالميا قد جعل دولة الغساسنة و عاصمتها (دمشق) دولة حاجزة بين القوى الغربية الاعظم – ايامها – المتمثلة بدولة الروم .فيما كان المناذرة من آل لخم حكّام الحيرة يحكمون الدولة الحاجزة لهيلمان الامبراطورية الفارسية في نصف الكرة الشرقي .

كان عرب الحيرة وعرب دمشق يتصارعان انتصارا لحليفيهما اللذين لم يقصرا ايضا في ايذاء من حالفهما لا من وقف ضدهما فحسب .

في(الحيرة) آثار قصري الخورنق والسدير وهما قصران تاريخيان من مشاريع دولة المناذرة . وللخورنق حكاية معروفة و مؤلمة حيث بناه واشرف على مخططاته المعمارية المهندس (سنمّار) الذي تقول الحكاية أنه وضع حجارة في مكان من البناء اذاسحبها انهار بناء القصر كله !

سنمّار هذا –ويا للغرابة- تباهى امام الحاكم امير المناذرة بهذا الانجاز المعماري وكانا يتفقدان القصر بعد أكتماله ، وقد وقفا عند اعلى أبراجه فامر الاميربرمي سنمار من أعلى قصرالخورنق لكي يموت هذا السر معه ، فمات سنمارهذه الميتة البشعة وغطت دمائه تلك البقعة من ارض الحيرة..

احدى الحكومات العراقية الحديثة أسمت قضاء أبوصخير بقضاء (المناذرة) نسبة للدولة القديمة التي كانت رمزا واحدى مدكات الحضارة العربية قبيل الاسلام ، لكن الناس ظلت تسمي المناذرة ابي صخير ، مثلما ظلت تسمي ناحية(آل بدير)المطلة على صحراء الحي والتي تحتضن نهايات نهر عفك تسميها (العبرة) بكسر العين رغم استبدال أسمها الرسمي الى ناحية التحريرمرة وآل بديركما هو الامر دوما .

ولاستبدالات أسماء المدن من شعبية الى رسمية شؤون وشجون ، فالمشاخب كان اسمها الرسمي (الفيصلية) بعد تتويج الملك فيصل الاول عام ١٩٢١ ، وقد اعيد اسم المشخاب اليها بعد ثورة ١٤ تموز وكان نهرها يفيض في موسم الفيضان فيؤذي الزرع وكذلك امر القرى والمدن المجاورة للمشخاب القريبة من ابي صخير مثل الشامية والمهناوية والشنافية وغماس.

في ذلك الزمان كان الفرات يفيض على البطائح المجاورة لابي صخير والشامية ويغرق القرى في فصول الفيضان وما يحمله من اسى وفرح البعض بذلك الفيضان الذي يعطيهم خيرا وغرينا ويعطيهم – بعد ذلك رز المشخاب الشهير وتمن الشامية ، وكان موظفو هذه المدن –من غير أبنائها- يضطرون الى شراءكميات من ارز لاهليهم في المدن التي أتوامنها .

كانت بيوت الموظفين من غير أبناء المناذرة (أبو صخير) مشيدة من قبل الادارة المحلية ليقيم بها هؤلاء ومع اسرهم فاذا أنتقلوا الى مكان أخر(الحاكم -القاضي –معاون الشرطة – مدير المدرسة –مفوّض الشرطة- محاسب البلدية – مدير المال وسواهم) سلمت هذه الدور الى من يخلفهم حيث تتقاضى حسابات القضاءمنهم مبالغ أيجار تحسب على اساس الراتب الاساسي دون غلاء المعيشة بحيث لاتتجاوزالدرهم (الخمسون فلسا) عن كل دينارمنه) ، وكانت بيوت هؤلاء تقع –يومذاك- عند طرف المدينة بالقرب من شاطئ (البدعة) وهي جدول صغيريخرج من الفرات وتتوزع مياهه على البساتين المجاورة للمدينة ، و(البدعة) نهيرطل منتجع سباحة للصبية ومصدر نقل ديدان البلهارزيا اليهم حيث كان الصبية يعانون ويتحملون دورات الحقن الكثيرة في الورك للتخلص من مرض البول الدموي الناتج عن البلهارزيا .

كانت (البدعة) تحيط بالفناءات الخلفية لدور الموظفين فاذا اقبل الليل وعم الظلام تسللت الى البدعة اجسام نسائية غضة بالملابس الكاملة لتنعم بسباحة هانئة لا تستطيع الحصول على متعتها حتى في بغداد الامس غيرعابئة بالنتائج المرضية القادمة اذ تكفي المتعة الآنية للمرأة أو الفتاة علاجا وهي تتقلب لايلا بين أحضان الماء دون خوف من طارئ أو متسلل والدنيا أيامها (عام ١٩٤٦) غير دنيا اليوم .

المناذرة اليوم رسميا وابو صخير هو الاسم الشعبي و هو الاسم الاثير لهذه المدينة التي شهدت نهضة فنية رائعة منتصف الخمسينات .

زارها محمود شوكت رئيس الفرقة العربية للتمثيل ومعه فرقته وزارها حقي الشبلي مع فرقته ، وزارتها فرق مسرحية اخرى ،وكانت التقاليد تقضي بتخصيص يوم للنساء اضافة لعروض الرجال التي كانت تتم في المسرح الذي كان يقوم في ساحة المدرسة الابتدائية الوحيدة متكونا من (خشبة)مكونة من رحلات المدرسة التي تجمع ويوضع عليها غطاء يكون ارضية لذلك المسرح الارتجالي المؤقت فيما تحوي اجزاء الساحة الباقية كراسي المشاهدين.

وفيما كانت الفرق المسرحيةالقادمة من العاصمة تزور ابي صخير ومعها ممثلاتها فقد اضطرت فرقةمسرحية من مدينة الحيرة ان تكلف احد المعلمين أن يقوم بأداء دور (ليلى) في مسرحية (قيس وليلى) لاحمد شوقي وكان على ذلك المعلم أن يرتدي الفوطة والجرغد ليغطي رأسه ويظهر جمال عينيه مكحلين ووجهه الملون المصبوغ بألوان الماكياج غير الاحترافي من قبل معلم آخر هو أحد اعضاء الفرقة المسرحية التي تألفت من معلمي مدرسة الخورنق في الحيرة التي قدمت عملها وسط مدرسة قضاء ابي صخير لضمان دعم القائممقام وتشجيعه وموظفيه بالتبرع للفقراءمن الطلبة ، وقد تسلل بعض الطلبة الى (منارة) المدرسة ليشاهدوا العروض ...

وحكاية منارة المدرسة الابتدائية في ابي صخيرمعروفة فقد كانت هذه المدرسة جامعا تم بناء غيره ، واستخدمت الادارة المحلية بناية الجامع القديم ليكون مدرسة لفائدة الجيل الجديد ، ولم يحتج الا القليل على هذا الاستخدام الذي لم يحول المحراب الى صف بل حوّل ساحة المدرسة – الجامع الى ارض مسرح تقدم المسرحيات المتعددة في (فضائه) مثل قيس وليلى لمعلمي مدرسة الحيرة و (عبد الكريم الخطابي أو ثورة الريف) لفرقة محمود شوكت و (البخيل) لموليير وفرقة حقي الشبلي وسواها .

هكذاكانت أبوصخير مثلما كانت بلدا للثوار مثلما هي الحيرة والمشخاب والشامية والمهناوية ، فقد ثار السيد علوان الياسري فيها وفي المشخاب ، مثلما ثار صفيه الشيخ عبد الواحد سكر الفرعون شيخ آل فتلة التي كان من شيوخها الثوار شكبان عبادي الحسين في منطقة المهناوية .

كانت كل هذه المناطق والقصبات – وما تزال – متقاربة الفكر والارض محجتها النجف – وما تزال – مثلما كانت ارض ظهر الحيرة مثل ارض ظهر الكوفة مقارنت لجاثليقات وكنائس واديرة منذ زمن اللخميين.

كان التعبد سمة لهذه الارض وكانت مراكز الاداء التهجدي مجسمة في هذه الارض التي ما ابتعدت ليوماعن التجذير للفكر الرباني فهو فكر خالق تلقفه مخلوق متسلل والدنيا أيامها (عام ١٩٤٦) غير دنيا اليوم .

(ابو صخير) مدينة الوعي بالحقيقة ومدينة الادانة لكل نوازع الشر ، وهي جزء من ذكريات طفولة تلت من بدعتها مرض البلهارزيا ، ومن مدرستها الانتقال من الثاني الابتدائي الى الثالث ، ومن ابي صخير بدأت الرحلة الى بغداد . وخلال السنة الوحيدة التي كنت فيها شهدت النجف مرارا وزرت الكوفة مرارا بواسطة (الكاري) وهو الترامواي الرابط بين مدينتي الامام القريبتين من (ابو صخير) .

تظل هذه المدينة الجميلة تشكل قيمة جمالية خاصة بالنسبة لي وقيمة رائعة لاهلها وللمدن والدساكر التي حولها

يخرج من نهر الفرات عند نهاية حدود البلدة القديمة (وأنا أتحدث هنا عن الفترة-1946 1947) جدول صغيريمتد غربا باتجاه مدينة الحيرة ومزارعها هو جدول الغازية او الغازي بلغة اخرى ، والتسمية هنا منسوبة للملك غازي الاول الذي تم حفر النهير في عهده لايصال الماء الى بساتين هذه المدينة التاريخية التي عرفها العالم قبيل الاسلام ، وهي عاصمة لدولة المناذرة التي ازدهرت حضارة العراق زمنها بفعل ذلك التلاقح بين ثقافة المدينة وثقافة الصحراء ،

معاهدات الصداقة في عهد الملك فيصل الاول

د . اسراء شريف

الملك فيصل الاول بالزي العربي في مؤتمر الصلح بباريس ١٩١٩م ويبدو الى يساره رئيس وزراء فرنسا والجنرال ريفاند وخلفهما الدكتور احمد قدري ثم عوني عبد الهادي

لقدْ رغب الملك فيصل الاول في تقوية اواصر الصداقة وحسن الجوار فأبرق في شباط ١٩٢١ الى الملك عبد العزيز ال سعود والى امام اليمن يحيى حميد الدين والى شقيقه لامير عبد الله بن الحسين امير شرق الاردن،مغربا عن رغبته هذه . وما كاد يتلقى منهم اجوبة الاستحسان حتى سارع فأوفد الى الاردن في صباح ٢٥ اذار ١٩٣١ على متن طائرة خاصة وفدا برئاسة رئيس الوزراء العراقي ووزير المالية في اثناء هذه الزيارة مفاوضات مع الوزارة التركية في شأن العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الدولتين ، وشروط اقامة رعاياهما والتدابير المتخذة لضمان الامن والنظام في مناطق الحدود . ومكث الملك فيصل ثم غادر الوفد الى القاهرة في ٢٨/اذار ١٩٣١ قصد الاسكندرية ومنها ابحر الى جدة ومن ثم توجه الى مكه المكرمة فعقد مع الامير فيصل ال سعود النائب العام لملك الحجاز ونجد وملحقاتها . وفي ٧نيسان ١٩٣١ معاهدة صداقة وحسن جوار وبروتوكول تحكيم ووقع في اليوم الثاني على معاهدة تسليم المجرمين وتم التفاهم على الدخول في مفاوضات في العراق من اجل اوقاف الحرمين الشريفين ولعقد اتفاقية تتعلق بجوازات السفر وبالرسوم الكمركية . وبعد ان اتم الوفد مهمته في الحجاز ، سافر الى صنعاء رئيس اركان الجيش طه الهاشمي ومدير الامور الخارجية موفق الالوسي ، فعقدا معاهدة صداقة بين العراق واليمن في ١٠ ايار ١٩٣١ اما نوري السعيد فقد عاد من الحجاز الى القاهرة بصحبة سكرتير وزارة الدفاع احمد المناصفي ،وعقد معاهدة تسليم المجرمين بين العراق ومصر ثم عاد الى بغداد في ٢٤ نيسان ١٩٣١ وعاد اليها من صنعاء طه الهاشمي وموفق الالوسي في ١٠ حزيران ١٩٣١ وفي جلسة النواب يوم ٣١ ايار ١٩٣١ قبلت بالاجماع معاهدتا (الصداقة وحسن الجوار) و(تسليم المجرمين) المعقودتين بين العراق والمملكة العربية السعودية ، والمعاهدة العراقية . الاردنية ومعاهدة تسليم المجرمين المعقودة بين العراق ومصر .وابرم المجلس المعاهدة العراقية اليمنية في ١٢ تشرين الثاني ١٩٣١ بالاجماع ايضا لان عاقديها عادا الى بغداد بعد انتهاء دورة المجلس النيابي غير الاعتيادية ودعا رئيس الجمهورية التركية الرئيس كمال اتاتورك الملك فيصل لزيارة تركيا زيارة رسمية ، فلبى الملك دعوته ووصل انقرة في السادس من تموز ١٩٣١ اجرى رئيس الوزراء العراقي ووزير المالية في برئاسة رئيس الوزراء نوري السعيد وعضوية رئيس اركان الجيش طه الهاشمي ومدير الامور الخارجية موفق الالوسي وسكرتيروزير الدفاع احمد المناصفي فعقد في اذار ١٩٣١ معاهدة الصداقة مع شرق الاردن.

طه الهاشمي

توفيق السويدي

عشرة ايام في تركيا زار خلالها اسطنبول ثم غادرها في ١٥ تموز الى فينا وباريس ، عاد الى بغداد في٢٩ ايلول ١٩٣١ . وفي ٩ و ١٠ كانون الثاني عقدت معاهدة تسليم المجرمين واتفاقية الاقامة والسفر والمعاهدة التجارية ما بين العراق وتركيا ، وابرم مجلس النواب الاتفاقية والمعاهدتين في ١٢ اذار ١٩٣١ . اما العلاقات العراقية .الايرانية ،فأن موقف حكومة (رضا شاه بهلوي) من الحكومة العراقية كان مشبعا بروح الجفاء وتأخرت (ايران) على الاعتراف بالعراق مدة ثماني سنوات ، وبقى الممثلون الايرانيون في بغداد وكربلاء والنجف والبصرة وخانقين يرجعون الى (دار الاعتماد البريطانية في بغداد) في الصغيرة والكبيرة من قضايا الحدود والجنسية ونحوهما . وكان في مقدمة اسباب هذا الجفاء مطالبة ايران بمعاملة رعاياها معاملة متميزة خاصة ، والاستفادة من بنود الاتفاقية العدلية التي فرضتها بريطانيا على العراق بخصوص الامتيازات الاجنبية . وبعد مساع جمة من الجانب العراقي لارساء العلاقات على وفق ما تقتضيه قواعد حسن الجوار باعتبارها المبادئ الاساسية للقانون الدولي ، ابرق رضاه شاه الى الملك فيصل الاول في اول نيسان١٩٢٩ بمناسبة موافقة عصبة الامم على استبدال اتفاقية جديدة بالاتفاقية العدلية العراقية .البريطانية ، الغيت فيها الامتيازات الاجنبية ،مهنئا بزوال العراقيل الموجودة بين الطرفين مؤملا انشاء العلاقات الودية على اسس رصينة . فرد الملك فيصل على تهاني الشاه بالمثل ، واوفدت الحكومة العراقية الى طهران وفدا برئاسة رئيس الديوان الملكي رستم حيدر يحمل رسالة شخصية من الملك فيصل الى شاه ايران . وفي يوم ٢٥ نيسان ١٩٢٩ تلا رئيس وزراء ايران اعتراف ايران بالعراق ، فشكر الوفد العراقي لايران اعترافها وبعد الاتصالات الدبلوماسية وتبادل التمثيل السياسي ، رغب الملك فيصل الاول في زيارة ايران، وفاوض الوزير العراقي المفوض في طهران (توفيق السويدي) السلطات الايرانية في شأن هذه الرغبة الملكية ، فوجه (رضا شاه) الى الملك دعوة لزيارة ايران . فتوجه اليها من بغداد في ٢٢/نيسان ١٩٣٢ مصطحبا رئيس الوزراء ونزل ضيفا على رضا شاه في طهران وتبادل الوفد العراقي الاراء مع المسؤولين الايرانيين في المسائل التي تهم البلدين ، وفي القواعد التي ترتكز عليها علاقاتهما واتفقا على المبادئ ، وان يشرع الجانبان في مفاوضات لعقد معاهدات واتفاقيات بغية حسم تلك المسائل وعاد الملك فيصل الاول الى بغداد عن طريق المحمرة في الخامس من ايار ١٩٣٢ وكان من النتائج المتمخضة عن هذه الزيارة عقد اتفاقية تنظيم العلاقات لسكان الحدود .

بدأت الاستعدادات للانقلاب والاستعانة بالجيش بعد تدهور أوضاع العراق، ولاسيما الاوضاع الداخلية وتردي الحياة الحزبية و البرلمانية ، فضلاً عن تذمر بعض العسكريين وسخطهم على وزارة ياسين الهاشمي الثانية. فتم التعاون للقيام بالانقلاب بين الناقمين على الوزارة من السياسيين، ورجال الجيش الذين لم يجدوا وسيلة أخرى للتخلص من تلك الوزارة، لأن البرلمان كان تحت سيطرة أتباع الهاشمي، وكان الجيش هو الأمل الوحيد في هذه المهمة. وقد أرجع حسين جميل السبب الذي دفع تلك الجماعة إلى قلب نظام الحكم عن طريق الانقلاب العسكري، إلى أسلوب الحكم الذي انتهجته وزارة الهاشمي الثانية في السنتين 1935و1936، والتي لم تقم بأية تعديل أو اصلاح كما وعدت به قبل تشكيلها، كما يدعي جماعة الأهالي والناقمون على الوزارة تلك.

عندما أصبح حسين جميل مديرا للدعاية

بشرى سكر الساعدي
باحثة واكاديمية

ونتيجة لذلك حدث في التاسع والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٣٦، الانقلاب العسكري الذي أطاح بوزارة الهاشمي، والذي عُدَّ أول انقلاب من نوعه في تاريخ العراق السياسي، وتزعَّم هذه الانقلاب بكر صدقي المعروف بقمعه الثورات العشائرية المتكررة في عهد وزارة الهاشمي، لهذا عُدَّ نفسه العامل الوحيد القادر على تثبيت تلك الوزارة، فلم لا يقوم هو بانقلاب ويأخذ السلطة لنفسه، بدلاً من أن يقدمها إلى ياسين الهاشمي. وأوضح حسين جميل أنَّ هذه هي المرة الأولى التي يتدخل فيها الجيش في السياسة بصورة مباشرة وعلنية ويقوم بانقلاب عسكري، وأشار إلى أنَّ اشتراك جماعة الأهالي في الانقلاب، كان عن طريق حكمت سليمان الذي أخبر بقية أعضاء الجماعة بأمر الانقلاب الذي يعتزم بكر صدقي القيام به، وأنه وافق على ذلك، وطلب منهم الموافقة عليه. وكان ذلك قبل موعد الانقلاب بأسبوعين، وبعد اجتماعات عدة، وتبادل وجهات النظر بين الجماعة، قبلت الفكرة، وتم الانقلاب بموافقتهم واشتراكهم وقبولهم الحكم بصورة رئيسة، لأنَّ هذه الموافقة تمت بعد أن فهموا أنَّ بكر صدقي لا يتولى الحكم، ولا يتدخل فيه، وأنَّ ما يهمّه من الأمر هو الاهتمام بالجيش و تقويته وتسليحه بأحدث الأسلحة.

وعلى إثر نجاح الانقلاب تألفت الوزارة الجديدة، التي تولى حكمت سليمان رئاستها ووزارة الداخلية، وجعفر أبو التمن وزارة المالية، وكامل الجادرجي وزارة الاقتصاد والمواصلات وهي حينذاك من أهمّ الوزارات. وبعد تشكيل وزارة الانقلاب تحرك أعضاء جماعة الأهالي لملء الفراغ السياسي، فتقدَّموا بطلب لتأسيس جمعية باسم (جمعية الاصلاح الشعبي).

أجازت الحكومة الجمعية بتاريخ ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٣٦ وانتسب اليها من الوزراء جعفر أبو التمن ويوسف عز الدين ابراهيم، ومن الموظفين حسين جميل ومحمد حديد وعدد من المحامين. وبهذا أصبحت الجمعية حكومية أكثر منها شعبية. وكانت غايتها الأساسية السعي إلى القيام بإصلاحات سياسية و اجتماعية و اقتصادية تعود بالمنفعة على عامة أفراد الشعب، وتحقق التقدم وتقضي على الاستغلال. أشارت خطط الجماعة مخاوف بكر صدقي وأنصاره، كما أثارت مخاوف القوميين الذين قالوا: إنَّ نزعة الحكومة ليست عربية.

ذكر حسين جميل أنَّ الجماعة تصورت أنَّها تستطيع تنفيذ مناهجها عن طريق اشتراكها في الحكم، وهو منهج يتناول كلَّ ما يمكن أن تستهدفه حركة سياسية بالنسبة لنظام الحكم، فقد تصوَّروا أنَّهم كهيأة أقرب إلى الحزب، ولهم أنصارهم وأعوانهم في أوساط الشعب والمثقفين والمتعلمين والطلاب، وباستطاعتهم ضبط الأوضاع إذا تولوا الحكم، ولاسيما أنَّ يتولوا بعض الوزارات المهمة، مثل وزارة المعارف التي تولاها أقرب الاشخاص إليهم، وهو يوسف عز الدين ابراهيم، ولم يشعروا بخطر من ناحية بكر صدقي، فهو فرد ليس له حزب، وقد طمأنهم إلى أنَّه لا يعنيه سوى العمل في الجيش وتقويته، وأنَّه سيقوم بذلك عن طريق توليه رئاسة أركان الجيش، وبذلك كان تفكيرهم منصبّاً على تنفيذ منهجهم السياسي بالتعاون مع جميع العناصر الوطنية والتقدمية، وإقامة جبهة وطنية تتفق مع مبادئهم، لاسيَّما أنَّ أعضاء من الجماعة تولوا مناصب مهمة في الحكومة، فقد تولى حسين جميل منصب مدير الدعاية والنشر في وزارة الداخلية، اذ استدُعي من مقر عمله في عانة بناء على اقتراح من كامل الجادرجي.

وعندما وصل بغداد عرض عليه كامل الجادرجي منصب مدير الدعاية والنشر، فوافق وقبل المنصب، ولاسيَّما عندما علم أنَّ هناك موظفين ذوي كفاية من رجال الاعلام يومذاك سيقومون بمساعدته، فقد تولى حسين الرحال ملاحظية المطبوعات الاجنبية، كما تولى ابراهيم حلمي العمر ملاحظية المطبوعات العربية.

وهذا الأمر سهَّل عليه العمل كثيراً، وكانت الدائرة التي يشغل بها حسين جميل المنصب تقع في بناية وزارة الداخلية المجاورة للقشلة، وابتدأ العمل في منصبه يوم الرابع من تشرين الثاني عام ١٩٣٦. وعدَّ حسين جميل أول من شغل هذا المنصب، لأنَّ المنصب كان قد شغل منذ تشكيله حتى مجيء حسين جميل بطريقه الوكالة من قبل ابراهيم حلمي العمر، الذي رجع إلى وظيفته الأصلية بعد تولي حسين جميل هذا المنصب. وعلى الرُّغم من قصر المدة التي شغل فيها حسين جميل هذا المنصب، إلاَّ أنَّه قام ببعض الاعمال المهمة والضرورية، وأول تلك الاعمال هو اعادة الصحف المعطلة، إذ نظمت مديرية الدعاية والنشر قائمة بأسماء تلك الصحف والمجلات، ورفعتها إلى حكمت سليمان رئيس الوزراء ووزير الداخلية بالوكالة لغرض إصدار أمر بالعفو، وقدَّمت المديرية المذكورة طلب رجاء إلى رئيس الوزراء من أجل أن يعمّم منشورا على كافة الوزارات يدعوها لتسهيل مهمة مندوبي الصحف ومساعدتهم على استقصاء الأخبار والمعلومات من منابعها الأصلية، لإيصالها إلى الرأي العام بأسرع ما يمكن، وبالصورة الصحيحة، لأنَّ مهمتهم غدت شاقة وصعبة، لعدم تعاون تلك الوزارات معهم، وعدم وتزويدهم بالاخبار لنشرها في صحفهم، فأصدر مجلس الوزراء قراراً بالافراج عن جميع الصحف المعطلة، وذلك في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٣٦.

كما أبدت مديرية الدعاية والنشر في وزارة الداخلية اهتماماً جدياً بالصحافة، إذ نظرت في أمر رفع الطوابع البريدية عن الصحف، وإلغاء بعض القيود ورفع العراقيل عن طريقها، وأول الأمور التي باشرت بها هو إعفاء ورق الصحف المحلية من رسم الكمرك، وهذه بادرة حسنة من بوادر اهتمام الحكومة بالصحافة، لكن الأمر الأهَّم من ذلك كلّه، والذي دعت الصحافة إلى إعادة النظر فيه، فداحة رسم الطوابع البريدية على الصحف في الداخل و الخارج، إذ إنَّ سعر الطابع البريدي للصحف داخل القطر كان (فلسين)، هذا بعد إتمام معاملة التسجيل و دفع الرسم المقرر لها. أمَّا في خارج القطر فإنَّ إرسال عدد واحد من جريدة الانقلاب على سبيل المثال للمبادلة مع الصحف الخارجية يكلف (ستة أفلس) أجرة طابع بريدي فقط. ومن الأمور المهمة التي ساعدت مديرية الدعاية و النشر على حلّها في ٢٢ كانون الأول عام ١٩٣٦، عند قيام فريق من العمال المشتغلين في شركة بلفور بإضراب عن العمل، بسبب تشغيلهم من قبل الشركة عشر ساعات و نصف يومياً، ولصعوبة عبور النهر المتسوا من مديرية الدعاية والنشر تبنّي موضوعهم، ونشر واقع حالهم وشكواهم، وفعلاً تمَّ ذلك، لذا أخذت الحكومة الأمر باهتمام كبير فور وقوعه، وطلبت من العمال المضربين إرسال من يمثلهم، كما طلبت ذلك من الشركة، فأرسل العمال شكواهم المتضمّنة كونهم يعملون أكثر من ثماني ساعات في اليوم، وأنَّ الشركة تتظلهم إلى الضفة الاخرى من نهر دجلة في سفينة لاتستوعبهم جميعاً، وهذا ما يسبّب تأخيرهم في العبور، وهم يطالبون بتخفيض ساعات العمل إلى ثماني ساعات في اليوم، وتسهيل أمر العبور، ونتيجة المداولة مع ممثل الشركة تمَّ الاتفاق على تقليل ساعات عمل العمال إلى ثماني ساعات في اليوم اعتباراً من ٩ كانون الثاني عام ١٩٣٧، من غير الاتفاق على تخفيض الأجور، مع معالجة أمر النقل، وقد تمَّ تأييد الاتفاق مع ممثل الشركة، ووافق العمال على الحلّ المذكور، وعادوا لاستئناف العمل.

ومن الأعمال الاخرى التي قام بها حسين جميل، من خلال منصبه مديراً للدعاية والنشر، هو الاهتمام بالاذاعة العراقية، وإعادة البث اللاسلكي إلى محطة بغداد، اذ هُيِّئت جميع الترتيبات اللازمة، التي من شأنها إتمام العمل في مدّة قياسية، وأعلن أنَّ الاذاعة ستباشر البث في الأول من شهر شباط عام ١٩٣٧، على مرحلتين، وفعلاً تمَّ استئناف البث في المرحلة الأولى، من الساعة السابعة صباحاً وحتى الساعة العاشرة ليلاً، ولأجل تنظيم العمل في تلك الاذاعة تألفت لجنة خاصة قوامها وزير المعارف ووزير الخارجية ومدير البرق والبريد العام ومدير الدعاية والنشر و غيرهم من الاشخاص الفنيين، لوضع الخطة والمنهج اللذين بموجبهما تعمل الاذاعة المذكورة، وعندما اجتمعت اللجنة تداول أعضاؤها في جميع ما يخصّ هذه المهمة، وتمّ انتداب فؤاد جميل، الذي نقل من ملاك التدريس، لهذه الغاية لتنظيم المناهج، وكلّهم أمل بأن تقوم الحكومة باتخاذ كل التدابير الفعّالة لجعلها تظهر بصورة فنية، تقوم بتهذيب الشعب وتثقيفه بما تبثّه من الأحاديث الاجتماعية والعلمية والصحية، وقد عزم وزير المعارف على توجيه كتاب إلى سائر الأدباء والعلماء العراقيين يحثهم على إرسال نتاجاتهم كلّ حسب اختصاصه، علما أنَّه تم تأليف لجنة خاصة لفحص كلّ ما يرد اليها من الخطب والاحاديث، واختيار المناسب منها، كما تقوم بوضع منهاج شهري كامل يذاع على الجمهور بواسطة الصحف و المتصرفين.

وعلى الرغم من جهود مديرية الدعاية والنشر في جعل الاذاعة أكثر شمولاً واتساعاً، إلا أنَّ أجهزة البث كانت حينها غير كافية لتأمين ذلك، ولهذا لم يبلغ حسين جميل تحقيق تطلعاته في هذا المجال، رغم سعيه الدؤوب في الأمر، كون الاذاعة أفضل الوسائل للتثقيف والتنوير السياسي.

ومن ضمن الاعمال التي قامت بها مديرية الدعاية والنشر في عهد مديرها حسين جميل، تعديل قانون المطبوعات العراقي، فقد وجّهت المديرية المذكورة اهتمامها لمعالجة ما يخصّ الصحافة وقانون المطبوعات، وبعد الحاح طلبت من وزير الداخلية مفاتحة حكومات كلّ من فرنسا وايطاليا والمانيا ومصر وتركيا وايران، ولتزويدها بنسخة من قانون المطبوعات الخاصّ بها، لغرض الاطلاع عليه والاستفادة من نصوصه، واخذ ما يلائم الحالة في العراق من جهة، وما يكفل رقي الصحافة العراقية من جهة أخرى، وتمهيداً لإجراء التعديل المطلوب على قانون المطبوعات، تمّ رفع الطلب إلى المجلس النيابي، وقامت تلك المديرية بوضع بعض المقترحات، لأجل رفع مستوى قانون المطبوعات نحو الأفضل، ومنها:-

١- حصر الاعلانات الرسمية،ومنها إعلانات دوائر الطابو، بدائرة خاصة، وتوزيعها على الصحف بصورة عادلة وبأسعار مناسبة.

٢- الغاء طوابع البريد والاكتفاء بختم خاصّ، مقابل مبلغ مناسب تحدّده الدائرة المختصة.

٣- تخصيص هويات خاصّة لأصحاب الصحف ومندوبيها، تتيح لهم التجول في دور المحاكم والمجالس الرسمية وغيرها من الأماكن الأخرى.

٤- أن تلزم دائرة الدعاية دائرة الشرطة والمحاكم وغيرها بتزويدها بأهمّ الحوادث والاعمال والقرارات لتلخّص منها ما يفيد الصحف والجمهور.

٥- السعي لإنشاء مكتب توزيع الصحف ومساعدة القائمين عليه.

٦- السعي لتأليف نقابة للصحفيين.

كما قام مدير الدعاية والنشر بتنبيه أصحاب الشركات ذات الامتياز إلى أنَّه في حالة حدوث أيّ إصابة للعمال أثناء قيامهم بواجبهم، تسبّب لهم عجزاً دائماً أو وفاة، يجب أن تقوم تلك الشركات بدفع تعويض لهم أو لورثتهم، لأنَّ حدوث مثل تلك الاصابات تكون خاضعة للتعويض الواجب دفعه وفق المادة ١١ من قانون العمال رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦، وذلك بدفع مبلغ لا يقلّ عن أجر العامل لمدة سنتين في حالة الوفاة والعجز الكلّي الدائم، وما لايزيد على نصف ذلك المبلغ في حالة العجز الجزئي حسب نسب معينة. ولابدَّ من الإشارة ايضاً إلى أنَّ المديرية سعت إلى تطبيق النصوص الأخرى في قانون العمل التي تتعلّق بتحديد استخدام الأولاد للعمل، وأوقات الاستراحة والعُطل، والأجور، وإجراء التفتيش على المصانع والمعامل كافة، ومعالجة كافة الأمور الأخرى. كما قام مدير الدعاية والنشر بالرقابة على الصحف وما تقوم بنشره من أخبار، إذ إنَّ بعض الصحف تنشر أخباراً كاذبة، ممّا يؤدّي إلى إثارة بعض المشاكل داخل البلاد، وحدوث اضطرابات وفوضى، أو حالة عدم الاستقرار، كما فعلت جريدة الأوقات العراقية حينما نشرت في القسم الانكليزي منها أنَّ الحكومة العراقية طلبت من الحكومة التركية إرسال عدد من الضباط الأتراك لتنظيم الجيش العراقي، إنَّ نشر مثل ذلك الخبر على صفحات الجرائد المحلية، له أثر بالغ في حدوث ارتباك ليس للجيش فقط، بل يمتدّ إلى الأهالي أيضاً. فضلاً عن قيام بعض الصحف بنشر أخبار عن بعض الوزارات، وعن المديريات المهمة التابعة لها، ذات الاتصال بحياة الناس، مثل ما نشرته صحيفة البلاد حول أجور الكهرباء في البصرة، وإجراء بعض التعديلات عليها.

حكمت سليمان

بكر صدقي

ياسين الهاشمي

جعفر ابو التمن

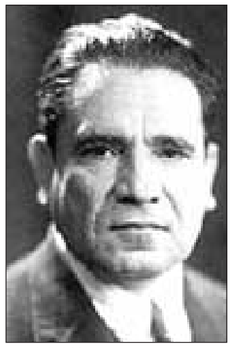
كامل الجادرجي

وكذلك ما نشرته صحيفة العراق حول حدوث بعض التغييرات والتنقلات في الهيكل الاداري لبعض الوزارات والمديريات التابعة لها.

لم تكن مهمة مدير الدعاية والنشر سهلة، بل تتطلب جهداً ومتابعة مستمرة لما ينشر ويذاع، ويقوم بين مدة وأخرى بتنبيه بعض الصحف، أو لفت نظرها، ويطلب من أصحابها أن يلتزموا جانب الصدق والأمانة فيما ينشرونه من أخبار، لأنَّ دور الصحافة الراقية تعمل بأسلوب النزاهة واللياقة والآداب الصحفية، لغرض خدمة الصالح العام، من غير التعّرض لكرامة الأفراد والمجتمع. ولتجنّب حدوث حالة من الفوضى والمعارضة الداخلية، لأنَّ تلك الصحف لم تنشر الأخبار الكاذبة، حول الوزارات والمديريات فحسب، بل تعدَّت ذلك إلى الجانب السياسي، إذ نشرت جريدة البلاد خبراً اقتبسته من جريدة المقطم المصرية من غير أن تتأكد من صحة ما قامت بنشره، ومضمون هذا الخبر أنَّ السيد جميل الراوي، أحد وزراء العراق السابقين، حمل رسالة من ملك العراق إلى أمير شرقي الأردن، بخصوص قضية فلسطين، لذا فإنَّ نشر خبر من هذا القبيل يترك أثراً بالغ الأهمية، وهياجاً لدى الرأي العام، ويثير تساؤلات كبيرة من قبل المعارضة وأبناء الشعب، لهذا طلبت مديرية الدعاية والنشر من اصحاب الصحف أن يتأكدوا من صحة الخبر قبل نشره، خوفاً من حدوث فوضى وهياج عام تصعب السيطرة عليه. كما سمح حسين جميل بطبع كراس بعنوان (العبرة في عهد ياسين الهاشمي) يتكون من ٤٣ صفحة، لصاحبه عبد الله البصير، وهو الاسم المستعار لكامل الجادرجي الذي كتب مضمون هذا الكراس في عهد الوزارة الهاشمية، ولم يستطع نشره، لأنَّه يتحدث عن الوزارة الهاشمية، فطبع بعد انقلاب عام ١٩٣٦، اذ قام حسين جميل بطبعه في مطبعة الرشيد في بغداد.

وعندما اشتدت الانتقادات والطعون في العديد من الصحف العربية أمثال الاهرام والبلاغ والشباب والمقطم وغيرها، وفي الصحف العراقية أمثال صحيفة البلاد والهداية وغيرها، لوزارة الانقلاب، ولاسيَّما بعدما ساعت أوضاع الحكم، لتدخل بكر صدقي في الشؤون السياسية من جهة، وقيامه باحتضان خصوم جماعة الأهالي، وتصريحاته في الصحف بصيغة لا تتلائم وتلك الاهداف التي سعت الجماعة إلى تحقيقها و ترجمتها إلى واقع عملي مؤثر في العراق من جهة أخرى، وبعد قيام بعض الصحفيين في السير في ركاب بكر صدقي، وإطلاق التصريحات غير المسؤولة، التي عجزت مديرية الدعاية والنشر من الحدّ منها وإيقافها، وجد حسين جميل أنَّ دوره في توجيه مسار الدعاية والنشر قد بدأ يتضاءل، لذا قدم استقالته بعد أن شغل هذه المديرية زهاء ستة أشهر.

توسط حسين جميل لدى حكمت سليمان رئيس الوزراء ووزير الداخلية وكالة ورجاه الموافقة على إعادته إلى العمل القضائي، بعد أن قام صالح جبر وزير العدلية من جانبه بإقناع حكمت سليمان برغبة حسين جميل هذه. فصدرت إرادة ملكية بتعيينه في القضاء حاكماً في محكمة بداءة بغداد، وباشر عمله في القضاء مرة ثانية في ٢٢ أيار عام ١٩٣٧. وعبّرت جريدة الانباء عن أسفها الشديد لتخلّي حسين جميل عن منصبه، وذكرت أنَّه شغل هذا المنصب خلال هذه الأشهر بكل نبل وشرف واستقامة، وطالبت الحكومة بعدم عودة الادوار السالفة، وعدم إسناد هذا المنصب بالوكالة إلى الأشخاص السابقين الذين لعبوا أدواراً مختلفة في عهد الوزارات السابقة، بل يجب أن يختاروا الشخص المناسب لهذا المنصب، ورشحت له طالب مشتاق، باعتباره الشخص الجدير بأن يرتقي بهذا المنصب بعد حسين جميل، وأن يجعلوا منه أداة نفع صالحة للبلاد في الداخل و الخارج.

ووصف عمر أبو النصر حسين جميل آنذاك بقوله: "صحبته شهرا واحدا، فما وجدت فيه خلّة يتذمّم منها خلق كريم أو يتحايل لها عذر جميل، أو تغضب لها وطنية، أو تضطرب لها حزبية، معتدل في رأيه، صادق في قوله، يقوم بواجبه في مديرية الدعاية والنشر كأحسن ما يكون وأفضل ما يكون، ثم هو إلى ذلك خير شخصية لتكون صلة الوصل بين العراق والأدباء والصحفيين من أبناء الأمة العربية، فما أعرف صحفياً انكر من حسين جميل امراً أو تكلّف عنه نقداً، لقد كان يراعهم ويساعدهم في المعلومات التي يريدونها ما استطاع وكان إلى ذلك سبيل".

وبعد استقالة حسين جميل بشهر استقالت وزارة جماعة الأهالي، وقرّرت وزارة الداخلية اغلاق جمعية الاصلاح الشعبي، بحُجة أنَّها تبثّ أفكاراً مسمومة، كالشيوعية، وهي أفكار مخلّة بالأمن.

وكان كبار ملاّك الأراضي والاقطاعيين قد عدُّوا الجمعية بمثابة خطوة لقيام الشيوعية. ولعلّ هذا الاتهام وغيره من المسبّبات، ومنها ظهور الجمعية قوّة مؤثرة سياسياً، جعل بكر صدقي يتخذ موقفاً معارضاً لها، ويتهم نشاطاتها باليسارية الهدّامة. وبدأ يضيق الخناق عليها، ويمارس أعمالاً مشدّدة إزاء أفرادها. وبذلك أصبح بكر صدقي بحلول عام ١٩٣٧ حاكم العراق المطلق، الأمر الذي خلق له العديد من الأعداء بين صفوف الجيش ورجال السياسة، وأدّى إلى إنهاء حياته.

يوسف عمر عاشق المقام

يحيى ادريس

اذا كان يوسف عمر قد خرج من معطف شيخ المقامات محمد القبانجي فأن الكثير من عشاق المقام يفضلون يوسف عمر على القبانجي لانهم واكبوا عطاءه واستأنسوا استمراره المقامي في الوسائل الاعلامية وفي عرينه (خان مرجان) بصحبةالفنان الكبير شعوبي ابراهيم.

ان يوسف عمر اجاد بالتمام والكمال اداء جميع المقامات العراقية والابوذيات والعتابات لكنه لم يضف شيئا للمقام العراقي كما اضاف استاذه القبانجي ولم ينصف صوته وفنه لرغبته القاسية في الغناء اليومي وفي اية مناسبة حتى وان كانت متواضعة الهيأة والترتيب واتخذ من المقام وسيلة للارتزاق وهذه الملاحظة ليست ضده ولكن المبالغة فيها تقترب من ضده بعض الشيء.. ومع هذا وذاك اصبح يوسف عمر مدرسة مقامية حفلت باعداد كبيرة من مقلديه الذين اساءوا له من دون قصد مقصود والذين تعاشقت ميولاتهم في غناء نفس القصائد والموالات والابوذيات ، وحتى في هيئته الشكلية مثل اعتماده السدارة في الرأس وتخطيط الشوارب وجلسته واعوجاج شفتيه وحركة سبابته اليمنى على فخذه الايمن ولم يظهر مطرب تمكن من اضافة لمحة ايجابية ليوسف عمر.. وكان يقول لي : ان هؤلاء مشكلة كبيرة وانت تتحمل هذه المشكلة .. لقيامك بتقديمهم في برامجك التلفزيونية وفي الحقيقة كان يستثنى منهم المطرب المثابر حسين الاعظمي . علما ان الاعظمي لا اجده مقلدا ليوسف عمر بل هو مطرب له شخصية متميزة في شكلية غناء المقام العراقي وسأكتب لاحقا عن مبادرات الاعظمي.

ان يوسف عمر المدمن اللحوح على غناء المقام العراقي افسد صوته في المواليد النبوية الشريفة خاصة مع المقرىء عبدالستار الطيار الذي يملك صوتا حادا لا يراعي فيه مستلزم الالة الموسيقية.. وعرف يوسف عمر بعناده الغريب فكان يصارع الطيار في المواليد وبالتحديد بالطبقات العالية الامر الذي اثر على اوتاره الصوتية وباتت ضعيفة وكان يتحايل على الميانات باعوجاج شفتيه وتقطيع الميانات.. لقد كان يوسف عمر افضل مطرب مقام حافظ على الاسلوب البغدادي الاصيل ولم يقلد استاذه القبانجي في تغيير التمارير المقامية او ادخال الاهات والميوعات المصرية في تفاصيل المقام.. لان المقام من وجهة نظره تحفة نغمية لا يصح التلاعب بها كما لم يجرؤ على استحداث بستات خاصة به وكانت لغته سليمة في اللفظ ومخارج الحروف وغنى مقام (النهاوند) بقصيدة شعرية وافلح في غناء جميع المقامات على مقام القطر الذي صاغه القبانجي في اطار اجتهاده . لكن يوسف عمر اخطأ في عدم توثيق نشاطه في مكتبة خاصة سوى المحاولات الممتازة لصديقه الموثق سمير الخالدي.

ان يوسف عمر متجذر في الذاكرة المقامية لانه اهمل كل شيء في حياته واعتنى بالمقام العراقي وسما به وعلا من شأنه طيلة اكثر من اربعين سنة ويستحق منا اقامة اكثر من مهرجان ومؤتمر.. للخدمة الجليلة التي قدمها للمقام وذات الشيء ينطبق على حسن خيوكه وعبدالرحمن العزاوي وعبدالهادي البياتي وحضيري ابو عزيز وداخل حسن وناصر حكيم وعبد محمد ومجيد الفراتي لان المقام والاطوار وروادهما لم ينصفوا اعلاميا كما انهم لم ينصفوا مجدهم.. لجهلهم باهمية التوثيق الذي يعد ذاكرة المستقبل الحي.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي ـ رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون